اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة

بحث فى النظرية اللغوية

الأستاذ الدكتـور /محمد العبد

أستاذ العلوم اللغوية ورئيس قسم اللغة العربية

كلية الألسن - جامعة عين شمس

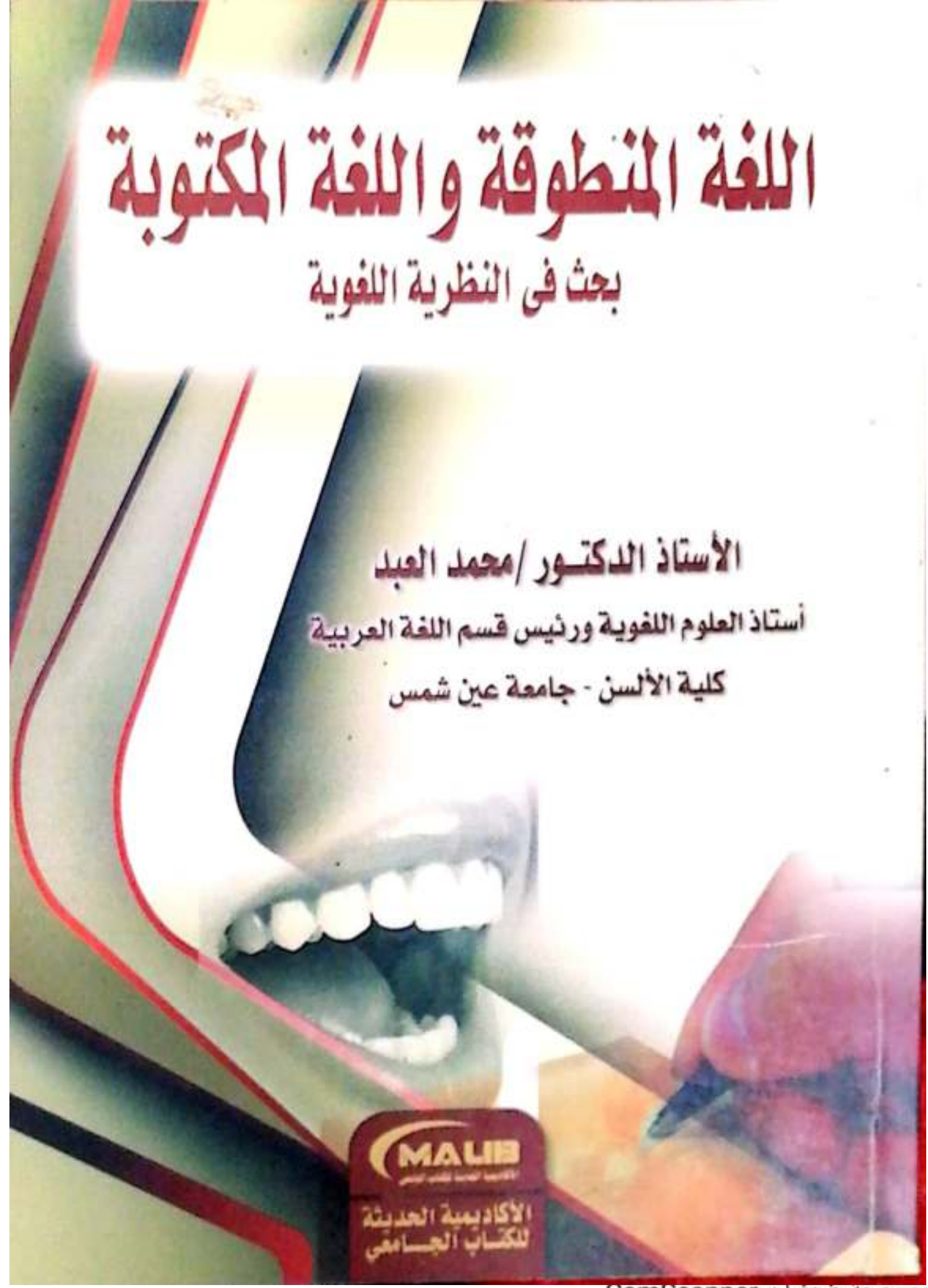

MAUB

الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة
بحث في النظرية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة

" بحث في النظرية "

الأستاذ الدكتور

محمد العبد

أستاذ العلوم اللغوية ورئيس قسم اللغة العربية

كلية الألسن ــ جامعة عين شمس

الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكتاب : اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة – بحث في النظرية

المؤلف : الأستاذ الدكتور محمد العبد

تاريخ الإصدار : ٢٠١٣ م

حقوق الطبع : محفوظة للناشر

الناشر : الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى

العنوان : ٨٢ شارع وادى النيل المهندسين ، القاهرة ، مصر

تلفاكس : ٥٦١ ٣٣٠٣٤ (٠٠٢٠٢) ١٧٣٤٥٩٣ ٠١٢٢

البريد الإليكترونى:

m.academyfub@yahoo.com

m.academyfub@gmail.com

رقم الإيداع : ٤٩٩٩ / ٢٠١٣

الترقيم الدولى : ٣ - ٦٦ – ٦١٤٩ – ٩٧٧ – ٩٧٨

تحذير :

حقوق النشر : لا يجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أى نحو أو بأية طريقة سواء أكانت اليكترونية أو ميكانيكية أو خلاف ذلك إلا بموافقة الناشر على هذا كتابةً ومقدماً.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٢
الفهرس	٥
المقدمة	٧
الفصل الأول: اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة: نظرة تاريخية	٩
الفصل الثاني: العلاقة بين الكلام والكتابة	٢١
الفصل الثالث: المنطلق النظري العلمي للبحث في اللغة المنطوقة	٢٧
الفصل الرابع: اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة وتشعب المصطلح	٣٣
الفصل الخامس: مفهوم اللغة المنطوقة	٥١
الفصل السادس: اللغة المنطوقة والموقف التبليغي	٥٩
الفصل السابع: الطبيعة الحوارية للغة المنطوقة	٧٣
الفصل الثامن: اللغة المنطوقة وعامل الإعداد	٨١
الفصل التاسع: الشفرة المنطوقة والشفرة المكتوبة: نمط الإنتاج	٩٣
الفصل العاشر: الشفرة المنطوقة والشفرة المكتوبة: الوظائف اللغوية	١٠٩
الفصل الحادي عشر: الشفرة المنطوقة والشفرة المكتوبة: الفروق اللغوية والأسلوبية	١١٩
الفصل الثاني عشر: اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة وموقف التراث اللغوي العربي	١٤٣
قائمة المصطلحات الأجنبية	١٥٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الموضوع	الصفحة
قائمة المراجع	١٦٥
- أولاً: المراجع العربية والمترجمة	١٦٦
- ثانيًا: المراجع الأجنبية	١٦٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المقدمة

مع التغيرات التي طرأت على نظرية علم اللغة الحديث في العقود الثلاثة الأخيرة، واكتشافه كثيرًا من الظواهر والقضايا الجديدة، صارت بعض الإشارات واللمحات الفكرية القديمة قضايا ومسائل كبرى تستوقف الباحث المدقق وتستمنحه فرصة جديدة للتحليل والتأصيل والتمييز بين أشكال لغوية، تجاوزت الدراسات التقليدية ما بينها من تباينات وفروق. وقد كان من أهم التفريقات الاصطلاحية التي طورتها نظرية علم اللغة الحديث، لاسيما في حقل اللسانيات الاجتماعية، تفرقتها – عند اختيار مجال البحث وعند التنويه إلى النتائج المستخلصة – بين شكلين كبيرين للغة هما: اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة.

ولا تنهض المقابلة بين هذين الشكلين على أساس التصورات والافتراضات، وإنما تنهض على أساس التحقيق والإنجاز الفعلي للغة وما لها من طرق ووسائل تبليغية مختلفة.

ويهدف هذا البحث إلى الإلمام المبدئي بنظرية اللغة المنطوقة وتنظيمها وإمداد الباحث اللغوي بمفاتيح موضوعية ومنهجية وفكرية جديدة، تعين على تجديد الفكر اللغوي العربي وتدقيق النظر في نصوص العربية وتعميقه.

وإذا كان البحث الذي بين أيدينا هو أول محاولة علمية في حقل الدراسات اللغوية العربية تطمح إلى الاكتمال والعمق والإفادة من المراجع الأصلية المتخصصة في موضوعه، فإن صاحبه قد احتكم إلى درايته بما أنجز من أعمال لغوية في تسويغ التفاوت بين مباحث الكتاب الاثنى عشر تفاوتًا كميًا، فلم أتوقف عند ما أراه غنيًا عن مثل هذا التوقف، باذلاً الجهد – ما استطعت – في عرض الأفكار والقضايا الجديدة وتفسيرها والتمثيل عليها، اقترابًا من الهدف الذي سعيت إلى تحقيقه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإن أكن قد وفقت، فالتوفيق من الله وحده، وإلا فحسبي أنني اجتهدت وحاولت إحسان العمل، آملاً في بحوث أخرى تستكمل ما عرض له البحث بدراسات تطبيقية مسهبة على نصوص العربية وما تقدمه للبحث اللغوي العربي من نتائج جديدة.

المؤلف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الأول

اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة

نظرة تاريخية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة

نظرة تاريخية

نظر النحاة التقليديون إلى اللغة المكتوبة باعتبارها أهم من اللغة المنطوقة، بل لقد وصفوا اللغة المكتوبة، وهم يريدون بها اللغة الأدبية، بأنها أنقى وأصح من نظيرتها المنطوقة. ولأنهم نحاة، فقد شغلوا – كما يقول ليونز – بالمحافظة على الصورة المكتوبة من الفساد[1].

وحتى الخمسينيات من القرن العشرين كانت شكوى بعض اللغويين من إهمال البحث الحقيقي الجاد في اللغة المنطوقة مازالت موجودة. يقول راندولف كويرك Randolf Quirk:

"بعد مرور ما يقرب من ثلاثمائة سنة من العناية الأكاديمية المتصلة والنشيطة باللغة الإنجليزية، مازلنا نفتقر إلى وصف للإنجليزية التي نتكلم بها، باعتبارها مقابلة للإنجليزية التي نكتبها"[2].

والحق أن هذه الشكوى لم تكن تخص – آنذاك – اللغة الإنجليزية فحسب، وإنما كانت تنسحب على اللغات الحية الأخرى دون استثناء تقريبًا (وننبه هنا إلى حاجة اللغة العربية حاجة ماسة إلى وصف علمي مفصل لصورتها المنطوقة). ونحن نعني ببحث اللغة المنطوقة هنا بحثها مقارنة بنظيرتها المكتوبة.

لقد ظل تقعيد اللغة وتحليل مستوياتها معتمدًا على الشكل المكتوب، باعتباره أساسًا للقراءة والتكلم، وباعتباره – كما تقول مريانه لوشمان Marianne Loschmann - تخزينًا لناتج عمليات الإرسال والاستقبال، أو القول والتلقي[3].

وبالرغم من أن رائدًا لغويًا مثل جون فيرث J. Firth قد دعا اللغويين – منذا أكثر من نصف قرن – إلى دراسة المحادثة، حيث إنها المفتاح إلى

---

(1) Lyons, John, Introduction to Theoritical Linguistics, Cambridge Uni. Press (1968) p. 42

(2) Quirk,R.,Colloquial English and Communication,in: Studies in Communication, London (1955) pp. 169-182, p. 169

(3) Loschmann, Marianne, Vom Lesen Zum Sprechen, VEB Verlag Enzyklopaedie, Leipzig, 1. Auflage (1985) S. 10

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهم أفضل لماهية اللغة ووظيفتها، فإن الدراسة الجادة للخطاب المنطوق Spoken Discourse لم يسبق إليها اللغويون، وإنما سبق إليها ونبه إلى أهميتها الاجتماعية علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا. ويفسر م. كالثارد M. Coulthard هذا الأمر بأن جميع علماء اللغة يتفقون على عملية الاتصال الإنساني human Communication التي توصف في حدود ثلاثة مستويات على الأقل هي: المعنى والصيغة والمادة (أو الخطاب والنحو والفونولوجيا)، ولكنهم – في الوقت نفسه يختلفون في حدود علم اللغة[1].

ويؤرخ العلماء للبداية الحقيقية لاكتشاف اللغة المنطوقة باعتبارها موضوعًا من موضوعات علم اللغة ببداية ستينيات من القرن العشرين. فمنذ تلك الفترة انتشر البحث بين اللغويين في اللغة المنطوقة مقارنة بنظيرتها المكتوبة من الناحيتين: النظرية والتطبيقية[2].

والحق أن للبحث في اللغة المنطوقة بداياته التاريخية الأولى. وهي بدايات ذات اتجاهات وغايات علمية شتى ومتزامنة أحيانًا كثيرة، وليست بالضرورة مراحل تاريخية متراتبة تؤدي مرحلة منها إلى مرحلة أخرى.

بناء على ذلك، يمكننا أن نوجز هذه المراحل فيما يلي:

(١) توجيه النظر منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى دراسة اللهجات وجمعها وبيان خصائصها ومقارنتها باللغة الأدبية أو المعيارية. وقد لعبت هذه الدراسات الأولى دورًا كبيرًا في تاسيس علم اللهجات Dialectology ويبدو لنا أن اللغة المنطوقة قد فهمت – في هذه المرحلة – على أنها تعني اللهجة أو اللغة الدارجة أو العامية.

(٢) نهضة البحث في الطبقات اللغوية Sprachschichtenforschung التي ارتبط النشاط فيها بموضوعات رئيسة في اللغة الدارجة

---

(1) Coulthard, Malcolm, An Introduction to Discourse Analysis, Longman Group LTD, England (1977) p. 1

(2) Schank, Gerd/Schoenthal, Gisela, Gesprochene Sprache, Eine Einfuehrung in Forschungansaetze und Analysemethoden, 2., Durchgesehene Auflage, Niemyer Verlag, Tuebingen (1983) S. 1

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Umgangssprache. وقد قفز هذا المجال إلى مركز الاهتمام في الخمسينيات من ذلك القرن.

وإذا كان التصنيف في مجال البحث في طبقات اللغة قد بدأ أول الأمر تصنيفًا ثلاثيًا: اللغة المكتوبة geschriebene Sprache، واللغة الدارجة Umgangssprache واللهجة Mundart، فقد أيد البحث النحوي تصنيف اللغة تصنيفًا ثنائيًا؛ أي إلى اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة. من أجل ذلك، يمكن القول بأن السبب غير المباشر للبحث في اللغة المنطوقة في الستينيات من القرن العشرين قد نتج عن البحث النحوي.

لقد ترك هذان الاتجاهان آثارهما الواضحة في تغير مجال البحث وتوجيه مساره. إنهما يشكلان ما دار حول اللغة المنطوقة في المنطقة الألمانية الجنوبية من بحوث، على نحو ما نجد منذ منتصف الخمسينيات من القرن العشرين في حلقة توبنجن Tuebingen البحثية وانتقالها من علم اللهجات إلى البحث في اللغة المنطوقة بحثًا توصيفيًا أوسع.

تحول البحث في الطبقات اللغوية إذن إلى بحث في اللغة المنطوقة. واستعان في ذلك بمقولات سوسيولوجية مثل: دراسة حالة المتكلم، ودوره، ومكانته الاجتماعية. وهي مقولات اتضحت أهميتها للتوصيف اللغوي وتزايدت قيمتها في استخلاص معطيات تجريبية[1].

(٣) لقد ظل علم اللغة فترة طويلة علمًا تاريخيًا في الأساس. ومع تغير طرق البحث من طريقة النظر التاريخي في اللغة diachronisch إلى النظر الوصفي synchronisch إثر رائد علم اللغة السويسري فردينان دو سوسير F. de Saussure والبنيوية الأمريكية amerikanischer Strukturalismus صار بحث اللغة المنطوقة من الأسس المهمة في البحث اللغوي بعامة.

لقد رأى دوسوسير وأتباعه من البنيويين أمثال سابير Sapir وبلومفيلد Bloomfield وهوكت Hokett وجليسون Gleason رأوا جميعًا أن الشكل المكتوب للغة ليس إلا تسجيلاً ماديًا لأصوات حية منطوقة. ولعل

---

(1) Schank / Schoenthal, op. cit., SS 2-3

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خير شاهد على ذلك قول بلومفيلد مثلاً: "إن الشكل المكتوب ليس لغة، ولكنه طريقة لتسجيل اللغة بواسطة إشارات ورموز مرئية"[1]، كأنما أراد بلومفيلد أن يؤكد أن اللغة في أوليتها هي اللغة المنطوقة.

لقد جعل هذا التغيّر من اللغة المنطوقة المعاصرة موضوعًا جديرًا بعناية العلماء. ومع التوجه إلى الدراسة الوصفية كان في مقدمة القضايا اللتي أثيرت:

(أ) إمكانية وجود نظام تخضع له اللغة.

(ب) أن لهذا النظام اللغوي كيفية بعينها يتجلّى فيها.

ومن هنا تراجعت قضايا التغير اللغوي تراجعًا بعيدًا لفترة من الزمن. وفي هذه الظروف دأب العلماء على طرح إشكالية محددة: إن كانت اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة تكونان نظامًا واحدًا يرتبط بلغة بعينها. وقد أدى إلى إثارة هذه الإشكالية ما لاحظه العلماء من فروق بين هذين الشكلين في مجال النحو بوجه خاص.

هذه المرحلة تدين إذن بالفضل للبحث اللغوي البنيوي في أمريكا؛ لأنه وجه اهتمامه الأكبر نحو اللغة المنطوقة. وقد بدأ هذا الاهتمام بالتوجه إلى المصادر الشفهية للغة. وبمحاولات تصنيف اللغات الهندية في أمريكا. وتذكر هنا جهود فريز CH. C. Fries في الحصول على تسجيلات صوتية هائلة لمحادثات تليفونية[2].

(٤) ومنذ الخمسينيات من القرن العشرين جدّ أحد اتجاهات علم الاجتماع الأمريكي وهو الاتجاه الإثوميثودولوجي Ethnomethodologie في دراسة التفاعل اللغوي اليومي. ويعد هذا الاتجاه في حقيقته القسم الرابع من (التفاعلية الرمزية) Symbolic Interaction التي أسسها عالم الاجتماع الأمريكي جورج هربرت ميد G. H. Mead سنة ١٩٣٧م، فقد سبقت الإثوميثودولوجيا بمدرسة بلومر Blumer التي التزمت بفلسفة هربرت ميد التزامًا كليًا، ثم مدرسة جوفمان Goffman التي قدمت

---

(1) Bloomfield, L., Language, Uni. Of Chicago, U. S. A., (1984) p. 281

(2) Schank / Schoenthal, op. cit. SS. 3-4

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شكلاً جديداً في التحليل الاجتماعي للذات من خلال اتجاه مؤسسها الجديد الذي أطلق عليه (الاتجاه المسرحي). وقد تلا ذلك كله مدرسة كون Kuhn التي ركزت على المجال التجريبي للنظريات التفاعلية[1].

على أية حال، فإن أنصار التفاعلية الرمزية قد ذهبوا إلى أن الذات هي الموضوع الأساسي للتفاعل، حيث تحمل في طياتها كمًا هائلاً من التفسيرات المختلفة والمعاني. وقد ربط ميد بين فكرة الذات الفاعلة وعالم الرموز واضعًا الأساس النظري للتفاعلية الرمزية[2].

وقد تأثرت الإثنوميثودولوجيا بالتفاعلية الرمزية، بل بفينومينواوجيا هوسرل Husserl وشوتس Schutz [3] من حيث دراسة الخبرات المشتركة بين أفراد المجتمع، ودراسة طرقهم ومناهجهم التي ينتهجونها في حياتهم اليومية، وما ينتج عنها من أنماط سلوكية، وما تشير إليه من خصائص عقلانية تمكنهم من التفاعل فيما بينهم. ويشير جارفينكل Garfinkel مؤسس الإثنوميثودولوجيا إلى أن هذا الاتجاه يقوم على ملاحظة العقلانية الاجتماعية العملية Practical Sociological Reasoning، ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه بعامة أنه مهتم بدراسة الحياة اليومية والواقع اليومي، يقول ميهان Mehan وود Wood:

"تعرف الإثنوميثودولوجيا أحيانًا بأنها أسلوب منهجي، وقد تعرف على أنها نظرية، وتعرف أحيانًا أخرى بأنها نظرة معينة إلى العالم... والرأي عندنا أن الإثنوميثودولوجيا ليست منهجًا، ولا نظرية، ولا حتى

---

(1) لمزيد من التفاصيل راجع: زينب شاهين (دكتورة): الإثنوميثودولوجيا: رؤية جديدة لدراسة المجتمع، مركز التنمية البشرية والمعلومات، القاهرة (١٩٨٧) ص٣٠.

(2) د/ مريم أحمد مصطفى: قضايا التنظير للتنمية في العالم الثالث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية (١٩٨٥) ص٧٥

(3) انظر في تفصيل ذلك:

- د/ مريم أحمد مصطفى: قضايا التنظير ص٧٢ وما بعدها
- د/ قباري محمد إسماعيل: أصول علم الاجتماع، دار الكتب الجامعية (١٩٧٨) ص٣٤٣ وما بعدها.
- Leiter, Kenneth A Primer on Ethnomethodology, Oxford University Prss, N. Y. (1980) pp. 4-5>

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نظرة إلى العالم. إنها صورة للفعل الاجتماعي، تمكننا من معرفة وجهات نظر الجماعة إلى العالم"[1].

والذي يعنينا هنا هو أن الإثنوميثودولوجيا قد جعلت كلام الأفراد الواقعي جانبًا أساسيًا من جوانب التفاعل الاجتماعي اليومي everday social interaction. وإذا كانت الإثنوميثودولوجيا تسعى إلى محاولة فهم الأفراد من الداخل عبر تصوراتهم العقلانية التي يكونونها خلال علاقات التفاعل مع الآخرين ومن خلال المعاني الذاتية التي يضفونها على أفعالهم، فقد كان الطبيعي أن تستند الإثنوميثودولوجيا إلى لغة الحياة اليومية. وأن تجعلها عاملاً رئيسًا من عوامل تشكيل النظام في المجتمع. ولذلك احتلت اللغة مكانًا أساسيًا في البرنامج الإثنوميثودولوجي الذي يذهب إلى أن البناء والتصنيف اللغوي وأساليب الاتصال بين الأفراد هي التي تؤدي إلى ظهور النشاط الاجتماعي المنظم وتعبر عنه.

إن قيمة هذه الرؤية الجديدة تكمن في أن اللغة تعد وسيطًا لإنجاز أفعال اجتماعية علمية؛ أي أنها وسيلة لتشكيل الواقع الاجتماعي[2].

لقد رفضت الإثنوميثودولوجيا فكرة اللغة من حيث هي نسق مستقل عن متكلم بعينه وخارجي وملزم ومجرد ومنتشر وعام ويعمل في أي سياق. وقد عبر عن هذه الرؤية الجديدة جون ركس J. Rex حين ذهب إلى أن دراسة المعاني التي يسلم بها الأفراد في لغتهم اليومية تؤدي إلى الأساس الحقيقي للنظام الاجتماعي، وهو ما يعني أن استخدام اللغة يتضمن قبول الأفراد الذين يستخدمونها لنظام معياري معين[3].

---

(1) Grafinkel, Harold, Studies in Ethnomethodology, Englewood Cliffs, New York (1967) p. 11

(2) د/ محمد حافظ دياب: الإثنوميثودولوجيا: ملاحظات حول التحليل الاجتماعي للغة، مجلة فصول، المجلد الرابع، العدد الثالث (١٩٨٤) ص١٦١

(3) د/ أحمد زايد: علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية، دار المعارف بمصر ١٩٨١، ص٤٦٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتعد بحوث شيكوريل Cicourel في اللغة المنطوقة في أقسام الشرطة من أهم البحوث الإمبيريقية في الاتجاه الإثوميثودولوجي. وقد أوضحت هذه البحوث أن التصنيفات النظرية والقانونية والسجلات الرسمية التي تمثل الأساس لعلم الاجتماع الكمي هي كلها أقنعة تخفي وراءها عمليات مقابلات ومواجهات encounters، تتضمن كثيراً من المفاوضات والجدل والمساومات... الخ.

وقد أوضحت المقارنة بين السجلات الرسمية ومضمون المقابلات الواقعية الأساليب اللغوية والاجتماعية المنظمة التي يتم بمقتضاها تصنيف الأفعال وفهمها وتقييمها. وعلى هذا تعد اللغة الموجودة في السجلات الرسمية صياغة منقحة للغة الحياة اليومية. ومن ثم تنبعث قيمة اللغة بالنسبة لعلم الاجتماع الإثوميثودولوجي في أن حديث الأفراد والطريقة التي يتحدثون بها والمجال الذي يتم فيه الحديث، كل هذا يشكل بالفعل الواقع الاجتماعي. فالعالم الاجتماعي – في نظر الإثوميثودولوجيا – هو إنجاز وتحقيق عملي practical accomplishment من جانب هؤلاء الذين يؤدون به فعلاً. وتلعب اللغة دورًا رئيسًا في هذا الإنجاز[1].

لقد عنيت الإثوميثودولوجيا بدراسة كيفية تنظيم المواقف العملية في الحياة اليومية بطريقة اجتماعية. هذه المواقف التي تظهر تلقائيًا من خلال توقعات كلية أو جزئية في لغة الحياة اليومية للأفراد. ومن هنا يمكن استيضاح محدداتها الأساسية في:

(أ) رفض فكرة النظر إلى اللغة من حيث هي نسق مستقل وخارجي عن الموقف.

(ب) أن اللغة أساس اجتماعي بوصفها وسيطًا لإنجاز الفعل الاجتماعي ووسيلة لتشكيل الواقع.

(ج) أن تحليل لغة الحياة اليومية يهدف إلى الكشف عن القوانين التي تحكم استخدام الأفراد لتلك اللغة.

---

(1) د/ زينب شاهين: الإثوميثودولوجيا ص٩٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويرى تسيمرمان Zimmermann أن لغة الحياة اليومية قد أهملتها المقولات اللغوية. كالنحو والدلالة، على رغم إمكاناتهما الكبرى في دراستها. وهذا هو ما حدا بالإثوميثودولوجيا إلى التركيز عليها بوصفها هدفًا اجتماعيًا وتفاعليًا.

ومن هنا يجب أن تلاحظ في سياقها، وأن توصف في حد ذاتها، لا باعتبارها مجرد مصدر لدراسة الحياة الاجتماعية. وهي بهذا الفهم اجتماعية في الأساس[1].

من كل ما سبق يتبدى لنا خصوبة الأفكار التي استند إليها هذا الاتجاه. ومن أجل عنايته الأساسية بالأبعاد السوسيولوجية للظاهرة اللغوية، واهتمامه الفائق بالممارسات الحية للغة الحياة اليومية وبالجوانب الإمبيريقية في بحث هذه اللغة في سياقات ومحيطات لغوية اجتماعية مختلفة.

نقول: من أجل هذه الأسباب كلها نظر إليه اللغويون من زاوية لغوية، وجعلوه فرعًا لغويًا يأخذ بمقولات سوسيولوجية، وهو فرع علم اللغة الإثوميثودولوجي، الذي ينهض على أساس ربط العمليات الكلامية الحية بعقلانية الأفراد الذين تصدرعنهم تلك العمليات.

(٥) ولعل النهضة الكبرى التي شهدتها دراسة اللغة المنطوقة هي تلك التي أنتجها تقدم البحث وتنوعه في علم اللغة الاجتماعي، فإذا كان علم اللهجات يمثل مركز الثقل في بحث اللغة المنطوقة، فإن لعلم اللغة الاجتماعي Sociolinguistics أهميته الكبرى في بحث الاستخدام اللغوي الشفهي.

ويحدد شانك / شونتال الصلات بين المجالات البحثية السابقة عن طريق الشكل الإجمالي التالي[2]:

---

(1) د/ محمد حافظ دياب: الإثوميثودولوجيا: ملاحظات حول التحليل الاجتماعي للغة ص٣١٦

(2) Schank / Schoenthal, op. cit., S. 3

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

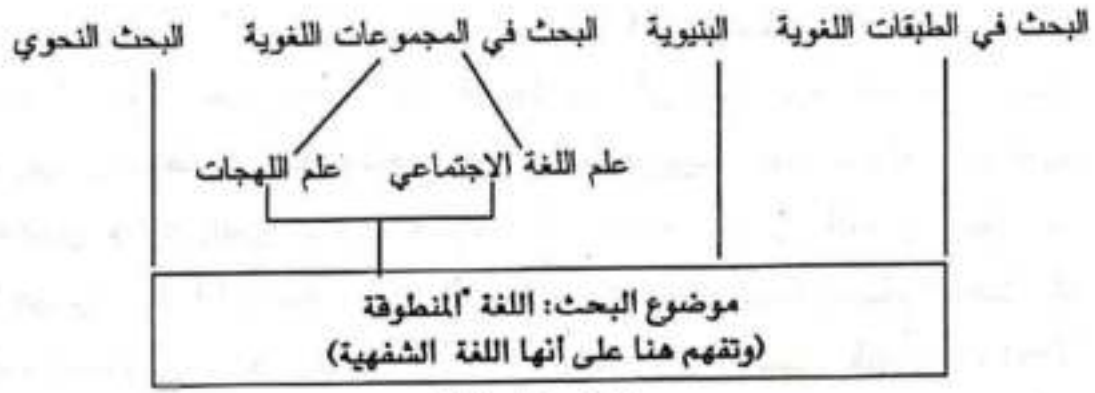

الشكل (١)

وينبغي الإشارة هنا إلى أن البحث في اللغة المنطوقة يتماس في بعض نقاطه مع كل من علم اللهجات وعلم اللغة الاجتماعي. ويبدو هذا التماس في موضوعات البحث في هذه المجالات، كما يبدو في تطبيق المناهج الإجرائية[1].

وتكمن الفروق الجوهرية بين اللغة المنطوقة وهذين الفرعين في أن علم اللهجات يهتم اهتمامًا أوليًا بالاختلافات الإقليمية في اللغة، وفي أن علم اللغة الاجتماعي يهتم اهتمامًا أوليًا بأثر الاختلافات الاجتماعية في اللغة.

أما البحث في اللغة المنطوقة، فيعني عناية خاصة بالاختلافات اللغوية المشروطة بالموقف Situation والمرتبطة به. ومما يذكر هنا أن علم اللهجات قد أمد المجالين الآخرين بالعناية المطلوبة، من حيث بحث مسائلهما وتقصيها على نحو تاريخي diachronisch[2].

من ناحية أخرى، فإن دراسات اللغة المنطوقة قد قادت إلى مناقشة مفهوم الكفاية اللغوية Kompetenz عند تشومسكي Chomsky، ومناقشة مفهومه عن المتكلم والمستمع المثالي (أو المفترض) في جماعة لغوية متجانسة، بل لقد قادت هذه الدراسات إلى نقد مفهوم الكفاية

---

(1) منها مثلاً عناية علم اللهجات وعلم اللغة الاجتماعي حديثًا باللغة المنطوقة (إلى جانب عنايتهما الأساسية بالألفاظ المفردة والجمل المفردة في الأول، واللغة المكتوبة في الثاني). ومنها اشتراك هذه المجالات جميعًا في العناية بأثر السياق والطبقة الاجتماعية في التركيب اللغوي.

(2) Schank / Schoenthal, op. cit. SS. 3-4

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذاته وتطويره[1]. أضف إلى كل ما سبق، أن الأعمال التي أجريت على اللغة المنطوقة حتى الآن، قد استطاعت أن تكسب علم اللغة بعدًا تجريبيًا وعلاقة جديدة بمناهج البحث التجريبية، بعد مرحلة ساد فيها الحدس والافتراض بتأثير مدرسة تشومسكي في النحو التوليدي التحويلي (TGG). وينبغي بعد كل ذلك، أن ننوه بقيمة إسهام البحث في اللغة المنطوقة، متضامنًا في ذلك مع علم اللغة النصي Textlinguistik وفلسفة اللغة التحليلية في مجاوزة اللسانيات الحديثة حدود الجملة عبر مفاهيم مثل: أنماط النص Textsorte،والنحو الأكبر Makrosyntax، والفعل الكلامي Sprechakt وسلسلة الفعل الكلامي Sprechaktsequenz وتغيير المتكلمين Sprecherwechsel[2] ونحوها.

---

(1) والحق أن مفهوم الكفاية اللغوية عند تشومسكي يعد تطويرًا لمفهوم (اللسان) عند دوسوسير؛ فاللسان عنده: "مخزن يودع عن طريق ممارسة الكلام في الأشخاص الذي ينتمون إلى الجماعة نفسها، ونظام نحوي يوجد بالقوة في كل دماغ".
أما الكفاية، فهي ليست مجرد مستودع في الدماغ، بل هي – كما يصفها مارك ريشل – قدرة نفسانية خلاقة عند الشخص الناطق. إنها عملية ابتكار لأن أهم خواصها يتمثل في إصدار عبارات جديدة وتأويلها باستمرار رغم خضوع هذه العبارات دائمًا إلى أحكام القواعد نفسها (مارك ريشل: اكتساب اللغة، ترجمة د/ كمال بكداش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط أولى (١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م)، ص١٤
وعلى رغم ذلك، فإن أهم ما وجه إلى مفهوم الكفاية من نقد أنه ركز على الشخص الناطق وقدرته على توليد الكلام، في الوقت الذي أغفل فيه إغفالاً يكاد يكون تامًا المحيط الاجتماعي وملابسات الموقف الاجتماعي التبليغي؛ فالمعنى اللغوي للملفوظ لا ينتهي عند حدوده النحوية بل يكتمل في سياقه الموقفي Context of Situation، باعتبار اللغة في جوهرها شكلاً من أشكال السلوك، وباعتبار الفعل الخطابي – كما يقول توماس لوكمان – عملية اجتماعية داخل حالة ديناميكية. (توماس لوكمان: علم اجتماع اللغة، تعريب د/ أبو بكر أحمد باقادر، كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة، ط أولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م) ص٨٨

(2) Sachnk / Schoenthal, op. cit. S. 5

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثاني

العلاقة بين الكلام والكتابة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العلاقة بين الكلام والكتابة

إن لكل لغة من اللغتين: المنطوقة والمكتوبة وظائفها في المجتمع، حتى إن بعض علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع، مثل جودي Goody يرى أن التفكير التحليلي Analytic Thinking يحصل لدى الفرد عند اكتسابه اللغة المكتوبة؛ وذلك أنها تدوين للكلام يمكّن الإنسان من امتلاك الكلمات المفردة ومعالجة نظامها وتطوير صور التفكير المنطقي[1]. ويحدد جودي للغة المكتوبة وظيفتين أساسيتين:

إحداهما: وظيفة التخزين التي تتجاوز بعملية التوصيل الزمان والمكان (فاللغة المكتوبة تعبر بتراث الثقافة حواجز الزمان والمكان إلى أزمنة عدة وأمكنة لا تحصى).

والأخرى: هي نقل اللغة من المجال السمعي إلى المجال البصري، والسماح بسبر أغوار الكلمات والجمل في سياقاتها الأصلية Original Contexts[2].

ويدلنا تاريخ الكتابة على أنها قد أحيطت بأجواء سحرية، حتى إنها بعد أن تجردت من كل صفة سحرية، ظلت محاطة بهالة من الرهبة والاحترام؛ ذلك أن الناس قد احتفظوا بما للنص المكتوب من خرافة[3].

وقد استغل الدين والقانون هذه العاطفة ليفرضا على أذهاننا النص المكتوب، الذي لا يعتريه تحويل أو تبديل، والحرف الذي يتحدى ما

---

(1) Goody, J., The Domestication of the Savage Mind, Cambridge Uni. Press (1977) p. 11

(2) Brown / Yule, op. cit., p. 13

(3) وينبه جون لاينز إلى أن مصطلح Utterance (وحدة كلامية، قولة) يشير عادة إلى اللغة المحكية (المنطوقة). بينما يشير مصطلح Text (نص) إلى اللغة المدونة (المكتوبة).

جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق، ترجمة د/ عباس صادق الوهاب، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ط أولى ١٩٨٧م، ص٢٥، بيد أن أكثر اللغويين يتوسعون الآن في استخدام مصطلح (النص)، فيطلقونه على المكتوب والمنطوق معًا. فإذا كان النص بمفهومه الأدبي ينبغي له أن يكون تسجيلاً مطبوعًا Printed record فإن تسجيل الحدث التبليغي المنطوق على شريط tape-recording سوف يحافظ على النص كذلك.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقتضيه العقل. ومازلنا نكرر "هذا مكتوب" أو "لقد كان ذلك مكتوبًا"، كما أننا نتصور المقدور مسجلاً في كتاب كبير تطوى منه في كل يوم صفحة[1]. وتعد الرموز المكتوبة – في حد ذاتها – صلة مهمة في العلاقة التاريخية بين اللغة والثقافة والبناء الاجتماعي؛ ففي الحضارات الكلاسيكية في العالم القديم، تطورت الكتابة من مصادر سحرية كما تطورت من مصادر "اقتصادية وسياسية عقلانية". وارتبطت كذلك ارتباطًا وثيقًا بتطور الصيغ المركزية للحكومة. لقد ساعدت الكلمات المكتوبة الإداريين المختصين من رجال الدين على إعطاء معنى دنيوي للغة الدينية[2].

وبديهي أن الكلام قد سبق الكتابة. وفي العربية كان عصر التدوين بعد أن نظم الشعراء القدماء أشعارهم وتبادلها الرواة والناس على نحو شفهي، ولذلك كانت الصورة المسموعة للغة العربية أسبق من الصورة المكتوبة أو المقروءة. ونذكر هنا نسخ المصحف، وتدوين السيرة النبوية، والرسائل القضائية والديوانية، وتاريخ الفتوحات بعد الحفظ في الصدور والرواية والتناقل الشفهي.

ومن الخطأ – كما يذكر ج. فندريس – أن نظن أن النص المكتوب يُعدّ تمثيلاً دقيقًا للكلام. فلسنا – على عكس ما يتصور كثير من الناس – نكتب كما نتكلم، بل إننا نكتب (أو نحاول أن نكتب) كما يكتب غيرنا. وإن أقل الناس ثقافة يشعرون، بمجرد وضع أيديهم على القلم، بأنهم يستعملون لغة خاصة غير اللغة المتكلمة (=المنطوقة). لها قواعدها واستعمالاتها كما أن لها ميدانها وأهميتها الخاصين بها[3].

ويشرح جون فيرث John Firth هذه القضية مرة أخرى بقوله:

"إن كثيرًا من الناس عندنا يظنون أن كلامهم سوف يكون أفضل إذا ما تكلموا على نحو ما يكتبون، أو على نحو ما تقضي الإنجليزية

---

(1) ج. فندريس: اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ، ص٤٠٤

(2) توماس لوكمان، علم اجتماع اللغة، ص٤٨

(3) ج. فندريس: اللغة، ص٤٠٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المعيارية Standard English المستخدمة في الكتب. وكثير من الناس يقول كذلك بقانون مخالف: "اكتب كما تتكلم". ومن الواضح أن المرء يكتب بالطبع كما يتكلم. وغالبًا ما يرتبط هذان الشكلان من السلوك اللغوي أحدهما بالآخر، لاسيما إذا استخدما للتعبير عن أغراض متشابهة. ولكن ثمة أشياء "تقال" أفضل مما "تكتب"، كما أن ثمة أشياء أخرى يكون من الأسهل كتابتها ولا يمكن لها أن تشكل جانبًا من المحادثة، وإن أمكن قولها في جماعة لغوية ذكية فحسب"[1].

لقد كانت اللغة المكتوبة حتى عهد قريب تتمتع بميزتين لا توجدان في اللغة المنطوقة:

إحداهما: أنها لغة باقية، أما اللغة المنطوقة فزائلة.

والأخرى: أنها يمكن أن تنتقل عبر مسافات بعيدة، على العكس من اللغة المنطوقة. أما الآن، فإن التسجيلات والأشرطة وغير ذلك مما يسمى بأشكال "الأحاديث المحفوظة". تحقق للغة المنطوقة ميزة الاستمرار والانتقال إلى آماد بعيدة، حتى إن من العلماء من يتساءل الآن عما إذا كان الوقت لم يحن بعد لأن تختفي لغة الكتابة وتحل محلها لغة الحديث. ولكن ليس هناك حتى الآن – كما يقول ماريوباي – أي علامة على احتمال حدوث ذلك قريبًا"[2].

ويمكننا الآن القول بأن الكلام يتمتع حقًا بميزات تفتقدها عملية التسجيل الكتابي للحدث التبليغي؛ فالإنسان يمكنه أن يمارس الكلام في الوقت نفسه الذي يباشر فيه عملاً آخر يدويًا، كما يمكنه أن يتحدث في الظلام وفي أماكن تختفي فيها إمكانية الكتابة.

من ناحية أخرى، يمكننا ملاحظة اتساع اللغة المنطوقة لكل مجالات الحياة الإنسانية ونشاطاتها، بما فيها من دقائق وشئون صغيرة يومية. وحري بالإشارة هنا أن الكتابة تظل عاجزة – إلى حد ما – عن أن تكون تمثيلاً دقيقًا متكاملاً للكلام، ففضلاً عن عجز الكتابة عن

---

(1) Firth, J., R., The Tongues of Men and Speech, Oxford Uni. Press, Lonkon (1970) p. 50

(2) ماريوباي: أسس علم اللغة،ترجمة د/ أحمد مختار عمر،عالم الكتب، ط ثانية، القاهرة (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م) ص٣٩

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إظهار صورة أمينة للغة المنطوقة هجائيًا أو فونولوجيا في بعض الأحيان، فإن الكتابة – بأعرافها المستقرة الثابتة – لا تمتلك أدوات تسجيل الجوانب الموضوعية غير اللغوية في الحدث التبليغي أو أثناء عملية التكلم Speaking مثل حركات اليد، وتعبيرات الوجه، وإيماءات الرأس، وحركات الذراعين والرجلين، وإشارات الجسم الدالة لغويًا واجتماعيًا بوجه عام general bodily gesture. ولابد أن تدل اللغة المكتوبة على هذه الجوانب غير اللغوية - إن أرادت - بالوصف اللفظي الصريح، على نحو ما نجد عادة في لغة الرواية والمسرحية (لاحظ هنا إشارات الروائي إلى كيفية حديث الشخصية الروائية، وإشارات الكاتب المسرحي أو إرشاداته للمخرج في كيفية أداء الشخصية للكلام والإلقاء على نحو خاص يرتبط بالحدث والموضوع).

وقد دفعت الفروق السابقة بين الكلام والكتابة لغويًا معاصرًا مثل ماريوباي إلى القول بـ" أن الصورة المكتوبة للغة التي كانت، ولا تزال، وستظل ذات أهمية ضخمة للجنس البشري في نقل المعاني من مكان إلى مكان عبر السنين (على الرغم من تضاؤل قيمتها نسبيًا أمام وسائل القرن العشرين المختلفة في تسجيل أصوات الكلام المنطوق) – لتعد من جهة نظرعلم اللغة مفيدة ومضرة في وقت واحد:

إنها مفيدة بمقدار ما أمدتنا به من مادة لتلك اللغات التي اختفت من عالم الوجود. وهي مضرة لأنها ليست دائمًا أمينة في إعطاء الصورة المنطوقة كما هي، بل ربما كانت خادعة ومضللة. وليس هناك مثال في هذا المقام أدل على التعبير عما نعنيه، من طريقة الهجاء الحديثة للغةالإنجليزية التي تعطي صورة جزئية، وكثيرًا ما تكون مضللة لطريقة النطق اليوم[1].

(1) ماريوباي: أسس علم اللغة، ص٦٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث

المنطلق النظري العلمي للبحث في اللغة المنطوقة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المنطلق النظري العلمي للبحث في اللغة المنطوقة

على الرغم من أن اللسانيات قد تأخرت في عنايتها باللغة المنطوقة عناية جادة، فإنها قد احتلت مركز الثقل في الدراسات المعاصرة بفضل النهضة الهائلة في الدراسات الميدانية للهجات والعناية بجمع التراث الشفهي ودراسته، ولتفوقها على اللغة المكتوبة في احتواء مكونات غير كلامية تؤثر في التلقي والتفسير. وقد تغيرت الصورة التي يرسمها جون لاينز John Lyons بقوله: إن جميع علماء اللغة ومعظم الفلاسفة يؤيدون مشافهة على الأقل مبدأ إعطاء الأولوية للغة المحكية (المنطوقة)[1]. لقد تغيرت هذه الصورة المبسطة إلى حد بعيد، وصار الاعتراف بالأولوية للغة المنطوقة اعترافًا شفاهيًا – من واقع النهضة التي شهدتها العناية باللغة المنطوقة منذ الستينيات من القرن العشرين – صار أعمالاً علمية مستفيضة.

ويمكننا أن نوجز المنطلقات النظرية للبحث في اللغة المنطوقة فيما يلي:

أولاً: أثر البحث في اللغة المنطوقة في التخلص من الأحكام الحدسية والافتراضية على شيوع ظواهر لغوية بعينها، بدرجات متفاوتة، في نصوص اللغة المكتوبة والمنطوقة معًا. من هنا عرضت مرة أخرى بعض القضايا النظرية التي لم يكن يتوصل إلى تفسيرها إلا بواسطة المعالجة الكمية والإحصائية.

ثانيًا: أن مركز الثقل في البحث في اللغة المنطوقة يكمن في مناهج العمل المأخوذة عن البحث الاجتماعي الإمبيريقي.

ثالثًا: أن اللغة المنطوقة هي أسبق وسائل الاتصال اللغوي الإنساني وأوسعها انتشارًا. ويعد متوسط ما ينتجه الفرد العادي من حديث أكثر بكثير مما ينتجه من كلام مكتوب. ومن أجل ذلك فإنه من السائغ لعالم اللغة Linguist – على عكس دارس فقه اللغة philologist – أن

---

(1) جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق، ص٢٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يهتم أولاً باللغة المنطوقة، ثم ثانيًا باللغة المكتوبة (باعتبارها – إلى حد كبير أو صغير – تمثيلاً صادقًا للغة المنطوقة)[1].

رابعًا: على رغم التسليم بالاختلاف الواضح بين اللغتين: المكتوبة والمنطوقة. فإنه ينبغي مراعاة التفاعل بينهما وطرق هذا التفاعل. ولابد من التنبيه إلى أنه في الوقت الذي نقر فيه بحقيقة تأثر إحدى اللغتين بالأخرى على مستوى البنية وتناوبهما على مستوى الوظيفة، فإن هناك حالات يصعب فيها القول باختصاص إحدى اللغتين دون الأخرى بهذه البنية وتلك الوظيفة. ونحن ننظر إلى هذا التفاعل بين اللغتين على أنه أمر طبيعي وحتمي؛ ذلك أن العلاقة بين المكتوب والملفوظ علاقة طبيعية وحتمية كذلك. ومن هنا نريد أن نوجه هذا التفاعل الوجهة التي يشير إليها فندريس بقوله إن بعض العلماء يميل إلى اعتبار اللغة المكتوبة خادمًا مطيعًا للغة الكلام[2]. فالعلاقة بينهما أخذ وعطاء وليست علاقة خادم بمخدوم.

خامسًا: ينبغي أن تنطلق نظرية اللغة المنطوقة من ضرورة اللحاق بالتغيرات التي تطرأ على هذه اللغة والإحاطة بها وإعادة النظر فيها من آن إلى آخر. ومما يذكر هنا أن التطور والتغير في اللغة المنطوقة أسرع منه – بوجه عام – في اللغة المكتوبة، وذلك بسبب العلاقة المثالية بين اللغة المكتوبة واللغة المشتركة التي هي بطبعها لغة محافظة، بينما يبدو مجال التأثيرات الفردية في اللغة المنطوقة أرحب وأكثر انفتاحًا.

ويشير ماريوباي إلى فكرة مهمة هي أنه ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار أن الصيغة المكتوبة للغة – وخصوصًا إذا كانت اللغة واسعة الانتشار – تقوم بدور مهم في تعطيل تيار التغير الذي يلحق لغة الكلام بسرعة. ويشرح ماريوباي هذه الفكرة بأن لغة الكلام إذا تركت وشأنها تصبح عرضة لتغيرات طبيعية فطرية تبعدها عن المركز، وتعبر عن نفسها بسرعة خلال الزمن، وتظهر في شكل لهجات عبر الزمن. وكلا العاملين

---

(1) ماريو باي: أسس علم اللغة، ص٤٠

(2) فندريس: اللغة، ص٤١٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(التطور الفطري والانقسام إلى لهجات) يعوق تحقق الغاية العملية للغات وهي الاتصال. إن الصيغة المكتوبة بفرضها مستوى معينًا من الصواب – مهما كان تعسفيًا – تعطل حركة هذين العاملين وتعوق فعاليتهما. إنها تحرك قوى مركزية جاذبة – وإن كانت صناعية – تعادل القوى المركزية الطاردة الموجودة في اللغة. ويستخلص ماريوباي من ذلك كله أن اللغة المكتوبة تساعد على تحسين وسائل الاتصال – حتى في مجالات التفاهم الشفوي – بين أعضاء الجماعة اللغوية الواحدة. إن فائدتها – على الأقل – تتمثل في إضفاء روح اللغة الأدبية المشتركة، التي تتمتع باهتمام الدارسين، على اللغة المتكلمة (المنطوقة)؛ ليسهل التفاهم بها[1].

سادسًا: ينبغي أن يتسم البحث في اللغة المنطوقة بالحذر والحيطة في كشفه عن ظواهر هذه اللغة وإشكالياتها في ضوء اللغة المكتوبة؛ فقد يكون في المقارنة بينهما ظلم للغة المنطوقة من بعض جوانبها؛ لأنه – إذ ذاك – يؤدي إلى حكم على لغة ذات طبيعة خاصة على أساس القياس النظري والتحليلي على لغة أخرى ذات طبيعة مختلفة اختلافاً بينا. من ناحية أخرى، فقد نسارع إلى الحكم على صيغ أو تراكيب منطوقة – في ضوء نظائرها المكتوبة – بالفساد أو الخطأ أو الرداءة، حتى تبدو لنا ذات يوم وقد اكتسبت شرعية الدخول في اللغة المكتوبة.

سابعًا: قادت البحوث التي أجريت على الملفوظات اللغوية باعتبارها ملفوظات تعكس جوانب عقلية وفعلية إلى نقلة في الإسهام النظري للبحث في اللغة المنطوقة. وهي نقلة ظهرت آثارها الإيجابية على التطور العام لعلم اللغة.

ويؤكد البحث المنهجي الفعلي – كما يذكر كل من شانك وشونتال – ضرورة النظر إلى الملفوظات اللغوية غير منعزلة عن سياقاتها التعاملية Handlungszusammenhang التي تنتج عنها وتنشأ فيها[2]. وهذا ما تلح عليه دائمًا بحوث اللغة المنطوقة.

---

(1) ماريوباي: أسس علم اللغة، ص٦١-٦٢

(2) Schank / Schoenthal, op. cit., S.5

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في ضوء ذلك، ينبغي لكل بحث في اللغة المنطوقة أن يأخذ في حسبانه هذه السمات الأولية والمنطلقات النظرية، سواء في ذلك وجوه التباين عن اللغة المكتوبة في بعض العناصر اللغوية، والخصائص الفونولوجية والتركيبية، والوظائف التواصلية؛ والقابلية للتغير والتطور، والاحتفاء باللغة غير اللفظية المرتبطة بالثقافة الشعبية والتي هي ركن أصيل في دراسة المعنى في اللغة المنطوقة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الرابع

اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة وتشعب المصطلح

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة وتشعب المصطلح

كان من آثار علم اللغة التاريخي historical Linguistics (أو Linguistique Diachronique في مصطلح فردينان دوسوسير) منذ أواخر القرن التاسع عشر أن نشأت عدة اصطلاحات فنية مثل اللغة المكتوبة، واللغة المعيارية، واللغة المشتركة، واللغة الأدبية. وتشترك هذه الأشكال اللغوية جميعًا – مع ما بينها من اختلافات وما لكل منها من خصوصيات – تشترك في امتلاكها نصوصًا ووثائق ثابتة من الناحية التاريخية. وهذا ما يحرص عليه علم اللغة التاريخي، الذي يعتمد في تتبع نمو اللغة وتطورها على الأشكال المكتوبة من اللغة. وقد وصل هذا الأمر إلى أن المنهجين البحثيين في علم اللغة التاريخي، ونعنى بهما المنهج المقارن، ومنهج إعادة تركيب اللغة، قد أسسا على نحو كامل على ما وجد من وثائق مكتوبة. ومن حيث طبيعة البحث، فإن علم اللغة التاريخي لابد أن يعتمد على المادة المكتوبة بقدر اعتماد علم اللغة الوصفي على المادة الكلامية لمتكلمين أحياء[1].

وإذا أردنا تفصيل ذلك، فلنلاحظ ما يلي:

أولاً: أن اللغة المشتركة هي التي تعلو على التباينات اللهجية المحلية للغة بعينها. وهي أوسع من اصطلاح اللغة المكتوبة، وليست مرادفة لها كما يظن بعض الباحثين. إنها أوسع من اللغة المكتوبة بمعناها الاصطلاحي الدقيق؛ وذلك أنها يمكن أن تكون مكتوبة، كما يمكن أن تكون منطوقة. وهما شكلان مختلفان وإن انتميا إلى نظام لغوي واحد. ومن هنا يصح القول بأن كل لغة مشتركة هي لغة مكتوبة بالضرورة؛ لأن اللغة المكتوبة هي الطابع المميز للغات المشتركة، وليست اللغة المكتوبة بمفردها مرادفة للغة المشتركة.

والمعروف من التطور التاريخي للغات أن اللغة المشتركة تنشأ أولاً، وتنشأ عن لهجة أو لهجات محلية، مهما استغرقت نشأتها من وقت. وتشيع

---

(1) راجع: ماريوباي: أسس علم اللغة، ص١٦٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اللغة المشتركة، وتكتسب مكانة خاصة بين أصحابها. وترجع تلك المكانة بالطبع إلى قدرتها على استيعاب موروثات الجماعة، وعلى إنجاز العمليات التبليغية بين أفرادها بنجاح، مهما تعددت وجوه هذه العمليات وطبقاتها.

وينبغي لنا أن نحترز هنا مع ما يزعمه فيرجسون Ferguson في إطار البحث في اللغة العربية: يزعم فيرجسون أن معظم اللهجات العربية الحديثة قد نشأت عن اللغة المبكرة عن طريق صيغة للعربية الحديثة يسميها بالعربية الوسطى Arabic Koine؛ وهي العربية التي لا تضاهي أية لهجة من اللهجات القديمة، والتي تختلف عن العربية الكلاسيكية Classical Arabic في كثير من الظواهر المهمة. ويرى فيرجسون أن هذه اللغة الوسطى كانت مستخدمة جنبًا إلى جنب مع اللغة الكلاسيكية أثناء قرون مبكرة من تاريخ المسلمين[1]. ونحن نرجح – على أساس ما تظهره لنا المقارنات بين اللهجات القديمة واللهجات المحلية الحديثة في بيئات لغوية عدة – أن اللهجات الحديثة لم تنشأ عن لغة مبكرة، وإنما هي امتداد للهجات القديمة، وإن كان لهذه اللغة الوسطى التي يتحدث عنها فيرجسون دور في صياغة اللهجات المحلية المختلفة، بشرط تصور إمكانية تأثر هذه اللغة الوسطى بالبيئة اللغوية التي استخدمت فيها، فلم تكن لغة وسطى واحدة في كل البيئات اللغوية العربية.

ثانيًا: تستخدم اللغة المنطوقة مقابلة للغة المكتوبة. وهما معًا شكلان متباينان إلى حد ما – مهما يكن بينهما من علاقات – لمستوى لغوي واحد من لغة واحدة مشتركة. ويقابلنا هنا اصطلاح آخر هو (لغة الكتابة)، الذي ينبغي له أن يكون مقابلاً لـ (لغة الكلام). وتتصرف (لغة الكلام) عادة – إذا أردنا ضبط الاصطلاح – إلى اللهجات المحكية للغة بعينها. ويعني هذا أن (لغة الكتابة) و(لغة الكلام) ليستا صورتين لمستوى لغوي واحد من لغة واحدة مشتركة. وإنما هما – في الأصل –

---

(1) Ferguson, Charles A., The Arabic Koine, in: Language, Journal of the Linguistic Society of America,
ed. by B. Bloch, Volume 35 Waverly Press, Inc. Baltimore U. S. A. (1959) pp. 616-360, p. 616

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شكلان مختلفان ومستويان متمايزان، وإن انتميا – بالطبع – إلى لغة بعينها. وإذا أردنا مثالاً يوضح لنا ما سبق قلنا: إن العربية الفصيحة تمثل عندنا اللغة المشتركة، وهي لغة مكتوبة في الوقت نفسه، ولا يمنع ذلك من أن تكون لها صورة لغوية أخرى منطوقة فصيحة كذلك. فإذا قلنا: إنها مع كل ذلك لغة الكتابة، كنا نريد بهذا أن نفصل بينها وبين مستوى آخر عام – في إطار العربية – هو اللهجات العربية المحكية.

وغني عن البيان أن لغة الكتابة واللهجات الدارجة تنتميان إلى فترتين مختلفتين من تاريخ اللغة.

وإذا أردنا أن نخصص كلامنا عن العربية مرة أخرى في شئ من التفصيل، رأينا أن العربية – أينما نطقت اليوم أو كتبت – سوف تستخدم هاتين الصورتين اللغويتين كلتيهما جنبًا إلى جنب؛ فإلى جانب العربية الدارجة Umgangsarabisch، وهي لهجة عربية حديثة، هناك عربية الكتابة أو العربية الفصيحة، التي تحافظ على الصيغة اللغوية للعربية القديمة. ويستثنى من ذلك لغة جزر مالطة، التي تحولت فيها لهجة عربية حديثة إلى لغة كتابة، تكتب بأبجدية لاتينية خاصة. أما العربية الفصيحة، فليست معروفة هناك.

إن لغة الكتابة Schriftsprache تستخدم في الصياغة الكتابية للنصوص، ويعد استخدامها في الاتصال الشفهي العادي استخدامًا في غير محله؛ فاللهجة هي لغة الكلام (العادية). ولا تكتب هذه اللهجة إلا في مجالات خاصة. وتسري هذه الازدواجية اللغوية Zweisprachigkeit في المنطقة العربية بأسرها، وإن عرفت اللغة الفصيحة واللهجة كلتاهما اختلافات إقليمية.

والحق أن الازدواجية اللغوية في المنطقة العربية ازدواجية قديمة. فمنذ أن صارت العربية القديمة لغة الثقافة الإسلامية، وطوال العصور الوسطى حتى اليوم، كانت تلك هي الحال.

ومعلوم لدينا أن معرفة لغة الكتابة أو اللغة الفصيحة هي معرفة منحصرة في دائرة المتعلمين. إن معرفة اللغة الفصيحة تعني الانتماء إلى طبقة المتعلمين والمثقفين العليا. وربما لم تكن العربية القديمة لغة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الثقافة في عصر ازدهار الخلافة والحضارة الإسلامية العربية فحسب، بل كانت أيضًا لغة البلاط ودوائر المثقفين في العالم الإسلامي كله. ولم يكن كثير من العرب يفهمونها أو يتخاطبون بها، كما هي الحال اليوم أيضًا. ومن المؤكد أن اللغة الفصيحة في عصر الازدهار الحضاري قد تعلمها الناس على نحو أفضل وانتشرت بينهم انتشارًا أوسع. ولكن إجادة اللغة الفصيحة قد تضاءلت شيئًا فشيئًا في عصور التدهور الحضاري، لاسيما منذ بداية العصور الوسطى المتأخرة (حوالي القرن الثالث عشر الميلادي)، حتى إذا كان القرن الثامن عشر زاد هذا التضاؤل وبعد مداه.

لقد بات معروفًا تقسيم الاستعمال اللغوي إلى هاتين الصورتين، إذ أصبحت اللغة الفصيحة لغة الكتابة الأساسية، وصار يؤول إليها كل ما يتعلق بالمكتوب. إنها لغة الخطاب الشفهي الرسمي، ولغة الشعائر الدينية، والخطاب الديني، والخطب المنبرية، والمناقشات البرلمانية، والمحاضرات. وباختصار: إنها لغة جميع الصور التي ليست في أساسها خطابًا حرًا freie Rede بل خطابًا أعد وصيغت أفكاره من قبل. وعلى العكس من ذلك، فإن اللهجة هي لغة الحوار اليومي. إنها اللغة الدارجة بين المتعلمين والأميين. ومن الطبيعي أن تكون هناك انتقالات بين مجالات الاستخدام تلك، وهي انتقالات تقع عن طريق التداخل المتبادل بين اللغة الفصيحة واللغة الدارجة. إن الخطاب الشفهي للطبقات العليا يضم عناصر من اللغة الفصيحة أكثر مما يضمه خطاب الطبقات الدنيا التي تنتمي إليها نسبة مئوية عالية جدًا من الأميين. لقد صار الوضع الراهن حقًا على النحو الذي يصوره المستشرقان الألمانيان فولف ديترش فيشر W. D. Fischer وأوتوياسترو O. Jastrow في كتابهما الرائع "المرجع في اللهجات العربية"؛ والناطقون بالعربية لا يأخذون أنفسهم في خطاباتهم اليومية Alltagsrede ولا في أحاديثهم العفوية الحرة in freie formulierter spontaner Rede بالنظام النحوي للغة الفصيحة. وقد أخذت أجهزة الاتصال الفنية في الآونة الأخيرة في طرح هذه القضية للبحث؛ فاللقاءات، والمؤتمرات الصحفية، والمناقشات السياسية تجري

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيها بالخطاب الشفوي الحر، حيثما يستوجب الموقف الرسمي استخدام اللغة الفصيحة[1].

ثالثًا: من ناحية أخرى ينبغي لنا أن نفرق بين اللغة المشتركة Common Language وما يسمى باللغة المعيارية Standard Language؛ فليست إحداهما مرادفة تمامًا للأخرى، على رغم ما يقع بينهما كثيرًا من تداخل أو إحلال. لقد استخدم اصطلاح اللغة المعيارية – كما يقول هانز جلينتس Hans Glinz – منذ أكثر من تسعة عقود – على أنه اصطلاح محايد، يحل غالبًا محل الاصطلاح المعروف: اللغة الفصيحة.

ويعرف ييجر Jaeger اللغة المعيارية بأنها اللغة التي تستخدمها الطبقات الاجتماعية العليا والمتوسطة.

ويرى جلينتس أن لاصطلاح (اللغة المعيارية) مزيَّة معينة؛ فاللغة المعيارية تضم الاستخدام المكتوب والاستخدام الشفهي في آن معًا، وذلك على النقيض من الاصطلاح الآخر: (لغة الكتابة)، التي نجدها في الكتب المدرسية. من ناحية أخرى، يرى جلينتس أن اصطلاح اللغة المعيارية ينأى عما تثيره كلمة (فصيحة أو عالية) التي قد يساء فهمها بين الناس على أنها الصيغة اللغوية الأعلى اجتماعيًا.

وهكذا يريد جلينتس أن يجعل اللغة المعيارية مشتملة على اللغتين: المنطوقة والمكتوبة معًا. يقول:

"وأنا أفهم من التسمية (اللغة المعيارية الألمانية المعاصرة) اللغة الألمانية المسموعة والمقروءة، المنطوقة والمكتوبة اليوم، مادامت هذه اللغة المعيارية مستخدمة استخدامًا عامًا، ومادامت غير مستخدمة في صورتها العامية، ومادامت غير مستخدمة على أنها مقيدة بطبقة اجتماعية خاصة"[2].

---

(1) Fischer, Wolfdietrich / Jastrow, Otto, Handbuch der arabischen Dialekte, Otto Harrassowitz, Wiesbaden (1980) SS. 20-21

(2) Althaus, Peter / Henne, H., / Wiegand, H., Ernst (Hrsg.). Lexikon der Germanistischen Linguistik, 2., Auflage, Max Niemeyer Verlag, Tuebingen (1980) SS. 609-610

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتفرقة جلينتس السابقة بين اللغة المعيارية ولغة الكتابة أمر بديهي؛ وذلك أن الأولى أوسع من الثانية كما نعرف. وهو يؤثر اصطلاح اللغة المعيارية على اللغة الفصيحة، لاعتبارات ترتبط بالتسمية التي تطلق على اللغة الفصيحة في الألمانية، وهي Hochsprache؛ فالترجمة الحرفية لهذه التسمية هي (اللغة العالية) بما قد يعلق بها من تمايز اجتماعي لصيغتها اللغوية مقارنة بصيغة أخرى. وهي إشكالية لغوية لا تعرفها العربية.

وينبغي هنا ملاحظة أن تعريف جلينتس للغة المعيارية – وهو التعريف الأشيع بين اللغويين المحدثين[1] – يسمح لها بأن تضم في كنفها مفهوم (اللغة الموحدة) أو (اللغة المشتركة) التي تتجاوز عادة مؤثرات إقليمية محددة.

وإذا عدنا إلى التفرقة بين اللغة المشتركة واللغة المعيارية (وتشترك إحداهما مع الأخرى في اشتمالها على صورة مكتوبة وصورة منطوقة) لاحظنا ما يلي:

(أ) أن اللغة المعيارية لغة مشتركة بالضرورة.

(ب) أن المعيار يتخذ من عصر بعينه من عصور اللغة، ثم تقاس عليه الاستعمالات اللغوية في عصور أخرى تالية.

(ج) أن اللغة المعيارية ترتبط ارتباطًا أساسيًا بالجانب القواعدي للغة كما يصفه النحاة. أما اللغة المشتركة فتطلق – بجهة عامة – على اللغة التي تتجاوز الخصائص اللهجية المحلية. وتكتسب هذه اللغة ميزة الشيوع والعمومية، وتدين لها اللغة المعيارية باستخلاص قواعدها المعيارية.

(د) أن اللغة المشتركة تمتلك أكثر من مستوى لغوي، وتتفاوت هذه المستويات فيما بينها من حيث الاقتراب من المعيار أو الابتعاد عنه.

(هـ) أنه في إطار اللغة العربية، بنيت العربية المعيارية (أو عربية النحاة) على أساس مادة القرآن الكريم والشعر القديم حتى عصر الاحتجاج.

---

(1) قارن مثلاً: Schank / Schoenthal, op. cit., S14

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهي عربية أدبية أو عربية ذات طبيعة أدبية فنية. ومن هنا يصعب أن نجعلها اللغة المشتركة بين الناس آنذاك. إنها بالأحرى لغة الكتابة الأدبية التي يفهمها ويكتب بها سائر الشعراء، وربما كانت هذه اللغة مفهومة عند كثير من الناس، ولكنهم لم يكونوا قادرين على التخاطب بها.

ولم تكن لغة الحياة اليومية المتداولة بينهم في شئونهم ومخاطباتهم غير الرسمية[1].

والراجح أن اللغة المشتركة - بهذا المفهوم الذي أشرنا إليه - كانت ما عناه فيرجسون باللغة الوسطى Koine. وهي لغة متجانسة نسبيًا، لاتضاهي لهجة بعينها من اللهجات القديمة، وتختلف عن العربية الكلاسيكية أو عربية النحاة التي اتخذت المعيار المقبول للعربية المكتوبة والمنطوقة معًا في كثير من ظواهرها.

وقد تطورت هذه اللغة إلى صيغة للمحادثة في العربية a conversational form of Arabic، وانتشرت في معظم أرجاء العالم الإسلامي منذ القرون الأولى من تاريخ المسلمين[2].

وينبغي أن نشير هنا إلى أن اللغويين العرب القدماء – وهم يتفقون في ذلك مع أسلافهم النحاة الهنود القدماء – قد انصرفوا إلى وصف اللغة الأدبية المعيارية، ولم يهتموا بالكلام الدارج vernacular المنطوق حولهم. لقد كان غرضهم – كما يقول فيرث Firth – هو الحفاظ على نقاء اللغة المقدسة sacred Language من أن يفسدها العامة، ومن السهو والخطأ؛ ليمكنوا الناس من النطق والكشف عن قدسية لغة القرآن الكريم وخلودها. وكذلك كانت الحال مع اللغة السنسكريتية. ويشير

---

(1) يشير شانك / شونتال إلى أن اصطلاحي اللغة الدارجة Umgangssprache ولغة الحياة اليومية Alltagssprache يدخلان غالبًا في علاقة تخالف مع اصطلاح اللغة الفصيحة Hochsprache، حيثما يكون للغتين الأوليين قيمة سلبية، بمعنى أنهما انحراف عن اللغة الفصيحة:

Schank / Schoenthal, op. cit., S. 15

(2) Ferguson, op., pp. 616-617

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيرث إلى أن هؤلاء الذين يعتقدون بتعسفية المعياريات اللغوية arbitrary Linguistic standards والنقاء اللغوي، كانوا حقًا من مدرسة واحدة. ولذلك كانت نظرتهم إلى اللغة نظرة استاتيكية أو جامدة static[1].

ولا نريد بالكلام السابق أن ننحو باللائمة على اللغويين والنحاة العرب القدماء؛ فالنظرة إلى اللغة ومناهج البحث فيها يرتبطان – إلى حد بعيد – بظروف العصر، وغايات اللغويين أنفسهم، وفلسفتهم الخاصة في التحليل اللغوي.

وقد تغيرت هذه النظرة في اللسانيات الحديثة تغيرًا جذريًا، يظهره لنا تأكيد جون لاينز مثلاً أنه لا توجد معايير مطلقة للنقاء أو الصحة في اللغة، وأن لكل صيغة اجتماعية أو إقليمية في اللغة معيارها الذي يختص بها من النقاء أو الصحة. ويفسح هذا التأكيد الطريق لوصف اللغات وصفًا أكثر إقناعًا[2]، ويظهره لنا كذلك قوله:

"إن الشاغل الأول لعالم اللغة هو وصف طريقة الناس الراهنة في نطق لغتهم وكتابتها، من غير أن يفرض عليهم طريقة يلزمهم بها في الكلام أو الكتابة. بعبارة أخرى: ينبغي أن يكون علم اللغة علمًا وصفيًا descriptive لا علمًا افتراضيًا prescriptive"[3].

رابعًا: ويستخلص من الفكرة السابقة كذلك أنه لا ينبغي لنا أن نخلط بين (لغة مكتوبة) و(لغة أدبية). واللغة المكتوبة – في غالب الأمر – كما يقول فندريس – عبارة عن اللغة المشتركة. أما اللغات الأدبية فتتميز عن هذه اللغة الأخيرة في غالب الأحيان؛ لأن رجال الأدب في كثير من الأقطار، من شعراء وقصاصين يكونون طبقة منعزلة لها تقاليدها وعوائدها وامتيازاتها.

وفي هذه الحال كانت للغتهم كل خصائص اللغة الخاصة. وكانت تتطلب تهيئة وترويضًا وتثقيفًا مهنيًا[4].

---

(1) Firth op. cit., p. 147
(2) Lyons op. cit., p. 12
(3) Lyons op. cit., p. 43
(4) فندريس: اللغة، ص٣٤٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن اللغة المكتوبة لغة عامة أو مشتركة. وهي الوسيط في الأحداث التبليغية بين جميع أولئك الذي يتكلمونها. وهي تمثل دائمًا – كما سبق أن ذكرنا – تقاليد وقواعد محافظة. أما اللغة الأدبية فتعد لغة فنية خاصة، تمتاز بسلطة مكوناتها الجمالية وهيمنتها على الكلام. وهي أكثر ميلاً إلى التطور والتجدد.

والتطور فيها تطور داخلي؛ أي رهين تفوقها على ذاتها، بينما يرتبط التطور في اللغة المكتوبة أو المشتركة بحاجات العصر ومتطلبات الحياة العملية. وقد حاولت كوليت ستورزي Colette Stourdze رسم العلاقة بين الشفرتين والتصنيف الطبقي للمستويات اللغوية من خلال الشكل التالي (الشكل ٢):

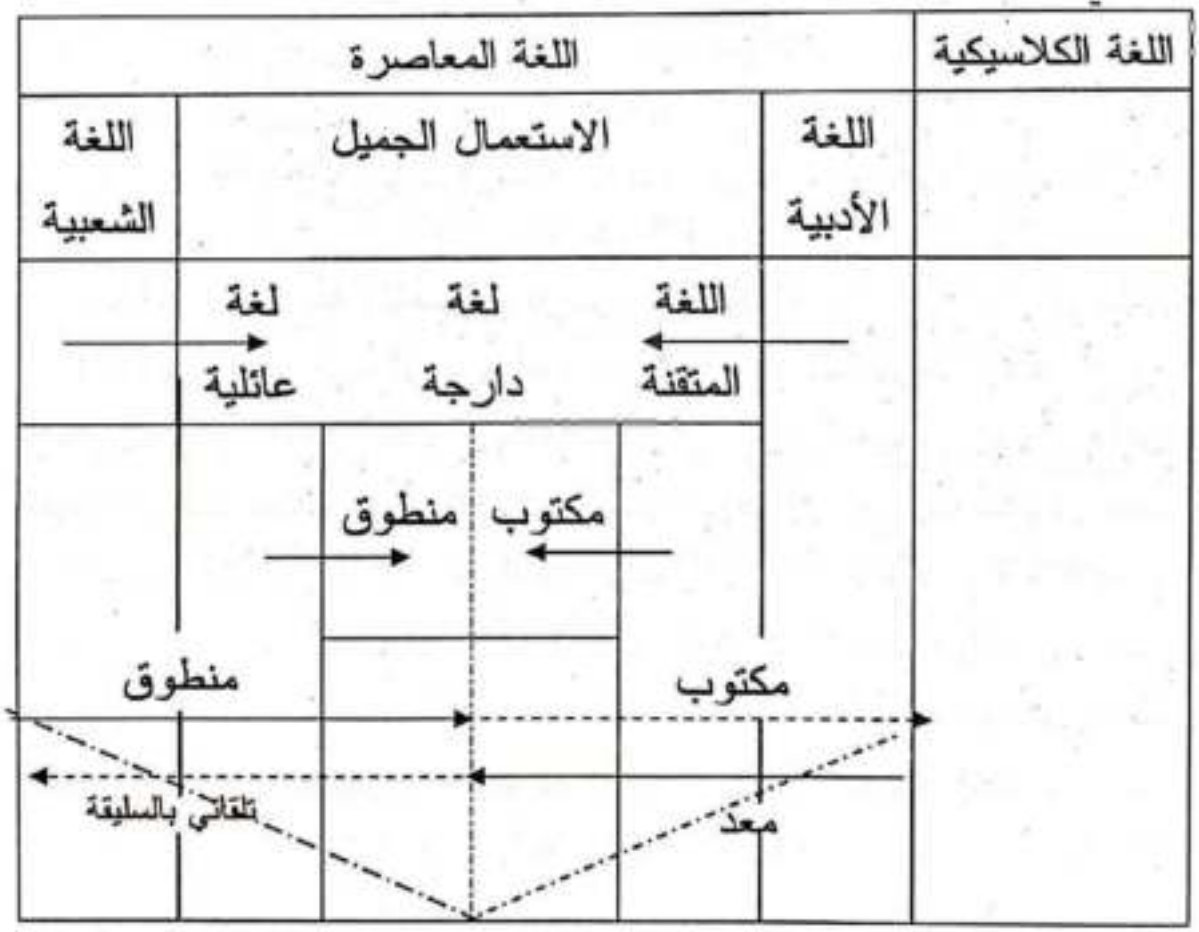

الشكل (٢)

ونلاحظ من الشكل السابق أن مجالات اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة قد عممت؛ لأن كلتا الشفرتين قد اشتملت على جميع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المستويات الطبقية للاستخدام اللغوي. وقد أشير إليها بالأسهم وأشكال الخطوط ونقاط التماس والانفصال. وتبدو الجمل الشعبية عادة جملاً منطوقة، بينما تبدو الجمل الأدبية جملاً مكتوبة. وتتداخل المستويات كما تتداخل الشفرات. وهنا نلاحظ التفاعل بين المستوى العائلي والشفرة المنطوقة، كما نجد تفاعلاً بين المستوى المتقن والشفرة المكتوبة. ويصل التقابل الحاد بين الشفرة المنطوقة والشفرة المكتوبة إلى قمته في اللغة الدارجة على وجه الخصوص.

ويذكرنا الشكل السابق بمحاولة بيير جيرو Pierre Guiraud تصنيف المستويات اللغوية Sprachregister (=Sprachniveau) = تصنيفيًا ثقافيًا اجتماعيًا إلى عدة طبقات وفقًا للشكل التالي (الشكل ٣):

الشكل (٣)

ولكننا نلاحظ كما أشار لودفج سول Ludwig Soell أن هذه المستويات غير كافية لوصف الفروق بين أنواع الشفرات[1]. ولعل ذلك راجع إلى ما يتسم به هذا التصنيف من إجمال وتعميم؛ وذلك أن كل طبقة من تلك الطبقات يمكن أن تنقسم بدورها إلى طبقات صغرى عدة. ولا ريب أن أشد صور اختلاف اللهجات عن اللغة الموحدة هي الاختلافات الصوتية، وأقلها الاختلافات المعجمية والاختلافات الصرفية – النحوية. ومازالت اللغة العامية – على نحو ما نجد في ألمانيا مثلاً – تقوم بدور اللغة المنطوقة إلى حد كبير، متفقة في ذلك مع ما درج عليه المتكلمون في المنطقة العربية في المواقف الرسمية، وإن كنا هنا في غنى عن إبراز الفرق بين حال اللغة العامية هذه واللغة المنطوقة بمعناها الاصطلاحي الدقيق.

(1) Soell, Ludwig, Gesprochenes und Geshriebenes Franzoesisch, Erich Schmidt Verlag, 2., Auflage, Berlin (1980) SS. 34-35

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذا أردنا النظر إلى العلاقة بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة في ضوء الشكل التوضيحي الذي قدمه تريير Trier (الشكل رقم ٤) لرأيناها على النحو التالي:

الشكل (٤)

لرأينا أن اللغة العامية ليست هي اللغة الفصحى ولا لغة الحياة اليومية. وهي – في الوقت نفسه – لا يمكن أن تكون مساوية للغة المنطوقة أو اللغة المكتوبة، مادامت اللغة الفصحى – قبل كل شئ – لغة مكتوبة، ومادامت لغة الحياة اليومية لغة منطوقة في المقام الأول[1].

ويجعل هوجوموزر Hugo Moser تراتبية المستويات اللغوية في ثلاث مراتب.

وذلك على نحو ما نرى في الشكل التالي (الشكل ٥):

---

(1) Soell, op. cit, SS. 37-38 ويفرق هافرانيك Havranek، داخل اللغة المنطوقة بين عدة وظائف مثل: الوظيفة التبليغية، والوظيفة العملية التخصصية، والوظيفة النظرية التخصصية (العلمية)، والوظيفة الجمالية. وتبعًا لذلك يفرق بين أساليب الحياة اليومية (الأسلوب غير الرسمي) وأساليب العلوم والآداب. وينبغي – بناء على ذلك – أن يحتل أسلوب الحياة اليومية، إذا راعينا التصنيف الوظيفي والأسلوبي للغة المنطوقة، مركز الوسط (مراعين في ذلك أن هذا الأسلوب يبدو في صورة الديالوج عادة:
Soell, op. cit, S. 38
وإذا اتفقنا على تقييد أسلوب الحياة اليومية بصورة الديالوج، وجب علينا أن نكون على حذر تام في اختيار نماذجنا؛ فقد يكون النموذج مميزًا لأسلوب الحياة اليومية بالتقييد السابق، كقولنا: أعطني من فضلك هذا الشئ – لا، هذا الشئ، هنا، فوق، على اليمين. وقد يكون النموذج محايدًا، كقولنا: أفسد الجو علينا إجازتنا كاملة. فهذا النموذج الأخير محايد تمامًا؛ لأنه يمكن أن يكون منطوقًا ومكتوبًا معًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

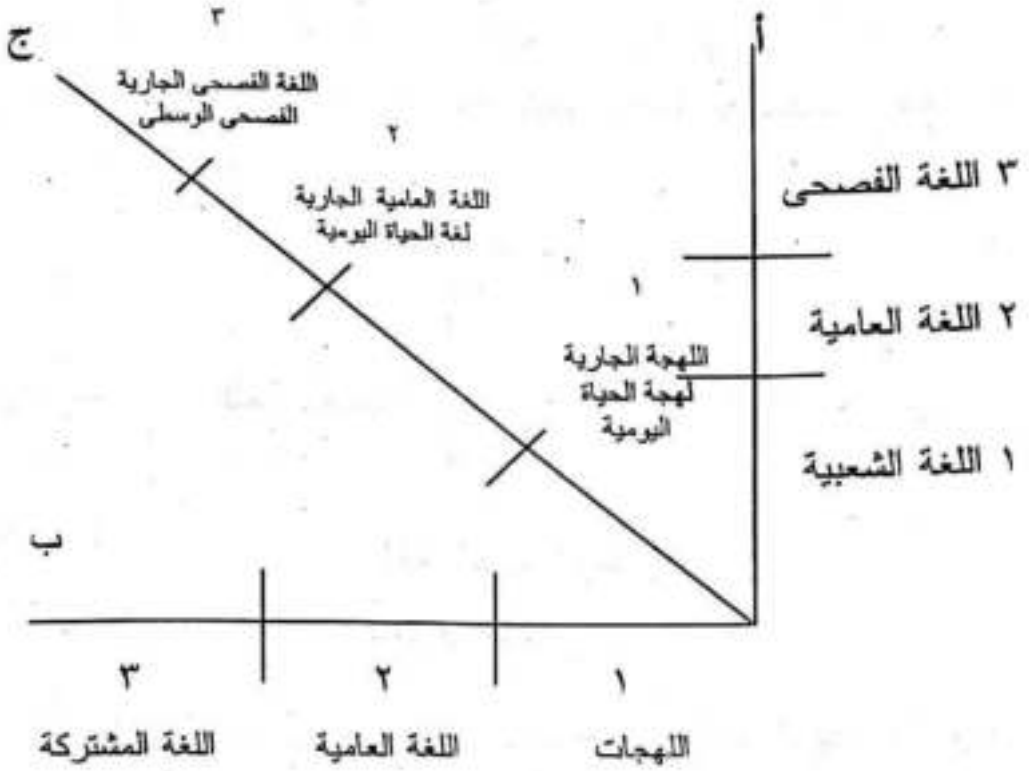

الشكل (٥)

أ = التراتب الطبقي الاجتماعي الرأسي.

ب = الفصائل المكانية الأفقية.

ج = المستويات الأسلوبية[1].

ونلاحظ أن الشكل السابق يفتقر إلى النقطة (د) التي ترتبط بالأشكال الخاصة من الاستخدام اللغوي (كاللغات العلمية، واللغات الخاصة). ونلاحظ كذلك أن اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة ليس لهما في الشكل السابق مكان.

ولم يذكر موزر الاستخدام المكتوب الشائع إلا باعتباره علامة رئيسة على اللغة الفصحى. وقد رفض موزر مصطلح (لغة الكتابة Schriftsprache). وانتهى إلى أن اللغة العامية، واللغة الشعبية، تمثل كلتاهما – في الأساس – لغات منطوقة.

---

(1) Moser, H., Umgangssprache, Ueberlegungen zu ihren Formen und ihrer Stellung im Sprachganzen, in: Zeitschrift fuer Mundartforschung 27 (1960) SS, 214-232, S. 231

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد تعرض الشكل السابق على يد لودفج سول إلى شئ من التعديل؛ لأن الأمر يدور حول بعد رباعي للشفرات. فإذا أردنا التعريف بالمنطوق والمكتوب، على نحو ما فعل لغويون آخرون، من أمثال كيلر R. E. Keller وسول Soell، وجب – إذ ذاك – أن نكون على بينة من أن الأمر هنا أمر أفضلية (فاللهجة قبل المنطوق، واللغة الفصيحة قبل المكتوب)، انظر الشكل (٦)[1]:

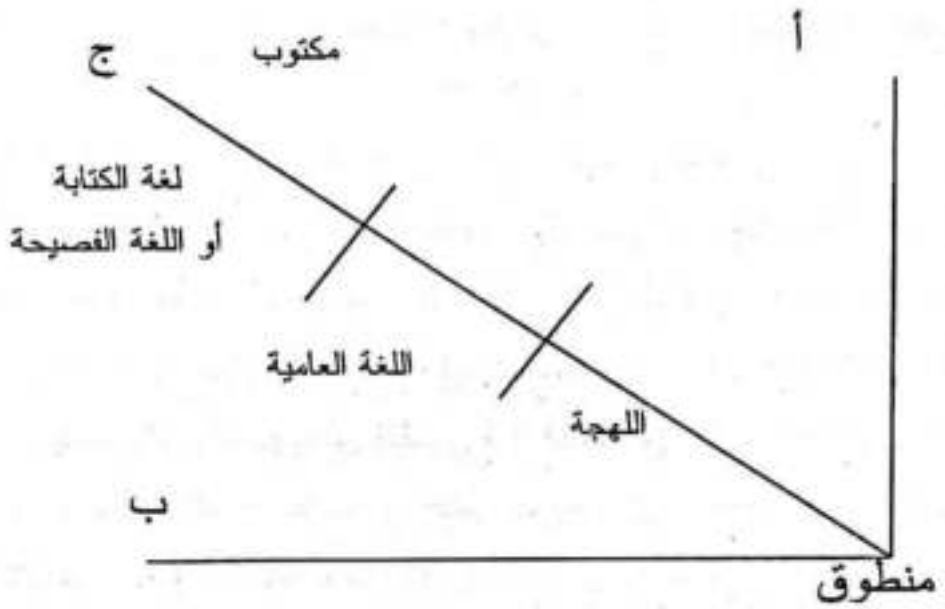

الشكل (٦)

ويمكننا أن نجد تفصيلاً أشد للعلاقة بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة بإزاء المستويات اللغوية عند لغوي آخر، هو ميخائيل جريجوري Michael Gregory. فقد عرف – في بحثه التنوع اللهجي – بلهجات أخرى، كاللهجات الجغرافية geographische Dialekte واللهجات الاجتماعية soziale Dialekte.

ومع تمييز جريجوري بين اللهجات، فإنه لم يميز تمييزًا طبقيًا واضحًا بين الأنواع المختلفة من كل استخدام لغوي، كما يستنتج من الشكال التالي (الشكل ٧) الذي عرضه لنا:

---

(1) Soell, op. cit., S. 40

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المقولات الموقفية	المقولات السياقية	الأمثلة
١- الدور القصدي (الغائي)	مجال الخطاب	الإنجليزية التقنية
٢- علاقة الوسط	شكل الخطاب	الإنجليزية المنطوقة
٣- علاقة المخاطب	مضمون الخطاب	الإنجليزية المكتوبة
أ) شخصية	مضمون شخصي	الإنجليزية الرسمية
		الإنجليزية غير الرسمية
ب) وظيفية	مضمون وظيفي	الإنجليزية التعليمية

الشكل (٧)

وتشتمل الشفرة الصوتية على حقل التكلم بأسره، بينما لا تشتمل الشفرة المنطوقة إلا على فرع التكلم التلقائي (ويدخل في ذلك الديالوج والمونولوج). أما فرع التكلم، فيدخل في الشفرة الصوتية والشفرة المكتوبة. وأما التكلم بشئ كأنه ليس مكتوبًا، فهو لا يكون إلا شفرة صوتية + شفرة منطوقة. ويمثل القص (أو التسميع Reciting) حالة خاصة. ويدخل في هذه الحالة – كما يذكر جريجوري – حكاية الأقاصيص، وإنشاد الأشعار المتوارثة ونحوها؛ أي ما يدخل في الموروث الشعري الشفهي oral poetry بمعناه الواسع.

وما دامت هذه الأشكال الشفهية غير مكتوبة كتابة فعلية، حتى وإن اعتمدت على أصول صيغت من قبل، فإنها يمكن – من ناحية أخرى – أن تعد نوعًا من (التكلم بما هو مكتوب عقليًا Speaking of what is mentally written)[1].

وإذا خصصنا الكلام مرة أخرى عن العربية، لاحظنا أنها قد عرفت صورتها المنطوقة الحقيقية قبل عصر التدوين، ممثلة في تلقائية التكلم باللهجات المحكية وصفائها وخلوصها من التأثيرات المكتوبة. ومازال تأثير اللغة المنطوقة في العربية الفصيحة موجودًا، فيما تدلنا عليه – كما يشير سنجر Singer – نصوص العربية الوسطى وفي المراكز

(1) Soell, op. cit. S. 41

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحضارية المعاصرة[1]. وليس في منطلق سنجر تجاوز للحقيقة؛ فقد اعتمدت العربية الكلاسيكية ذاتها على لهجات محكية كما نعرف، ولم تكن أبدًا لهجة جماعة واحدة أو منطقة واحدة، ولذلك أسهمت العربية الكلاسيكية مرة أخرى في خلق لغة وسطى قديمة عن طريق صيغتها المكتوبة، وهي الصيغة التي مازالت معروفة حتى يومنا هذا بالعربية المعاصرة المعيارية Modren Standard Arabic (= MSA)، وهي لغة الأدب الحديث والنثر الصحفي والنثر المنطوق[2]. ومازالت هذه العربية المعيارية تلقى من اللهجات المحكية أو اللغات الدارجة تأثيرات قوية قد ندل على بعض جوانبها بالنظر إلى أبنية الفعل مثلاً؛ فقد تعرضت بعض أبنية الفعل فى العربية المعيارية المعاصرة إلى تطور نتج عن تأثير اللغات الدارجة، ومن ذلك فقدان همزة التعدية في صيغة (أفعل)، بأن تأتي في صيغة (فعل) – مزيدة أو مجردة – مسبوقة بالفعل (جعل)، نحو: "جعله ينتظر، جعله يتأخر، جعله يضحك"[3]. كذلك، فقد نرى أثر اللغة الدارجة في كثرة استخدام الصيغتين (انفعل) و(تفعل) في العربية الفصحى المعاصرة على غرار نظائرهما في اللغة الدارجة، لتدل على البناء للمجهول، نحو:

انزرع، انبنى، تأمن، تعرى... الخ[4].

وهذا نوع من التبادل اللغوي المتوقع دائمًا بين المستويات المختلفة للغة بعينها، وله نظائره في اللغات كلها. ولعل هذه التأثيرات الدارجة في العربية المعيارية أقل تصادمًا – كما يقول هانز فير Hans Wehr – مع

---

(1) Singer, Hans – Rudolf, Der neuarabische Sprachraum. In: Grundriss der arabischen Philologie, Bd. 1, hrsg. Von: Wolfdietrich Fischer Wies baden (1982) s. 117

(2) Mitchell, T., F., Educated Spoken Arabic in Egypt and the I Evant with special refernce to Participle and Tense, in: J. Linguistics 14, Great Britain (1979) pp. 227-228, p. 227

(3) Kropfitsch, Lorenz, Semantische Tendenzen im Neuhocharabischen in: ZAL, Heft 5, Otto Harassowitz, Wiesbaden (1979) SS. 118-136, S. 119

(4) Kropfitsch, op. cit., S. 120

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

روح العربية من هذا الحشد الهائل من المفردات والتعبيرات اللغوية الأوروبية التي دخلت العربية المعاصرة[1].

ومن المهم في المنطقة العربية بحث الظروف التي تخضع لها مجالات استخدام العربية الفصيحة واللهجة. ويشير فرنر ديم Werner Diem إلى ظرفين اثنين رئيسين:

أولهما: أن اللهجة تعد اللغة المنطوقة في الأساس، بينما تعد العربية الفصيحة اللغة المكتوبة في حقيقة الأمر، والآخر: أن العربية الفصيحة تحظى بمنزلة واعتبار Prestige أكبر مما تحظى به اللهجة.

وينتج عما سبق أن اللهجة – لمكانتها الضئيلة – لا تستطيع أن تحل محل اللغة الفصيحة في الكتابة. وليس العكس صحيحًا مع الكلام؛ فاللهجة لا تصلح لجميع مواقف الكلام Sprechsituationen أو لا تناسبها؛ وذلك أن المواقف الأكثر رسمية تناسبها اللغة الفصيحة الأعلى مكانة[2].

---

(1) Wehr, Hans, Entwicklung und traditionelle Pflege der arabischen Schriftsprache in der Gegenwart, ZDMG, Bd. 97, Heft 1 Leipzig (1949) SS. 16-46, S. 34

(2) انظر في تفصيل ذلك:
Diem, Werner, Hochsprache und Dialekt im Arabischen, Wiesbaden (1974) S. 35

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الخامس

مفهوم اللغة المنطوقة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مفهوم اللغة المنطوقة

نبادر هنا إلى القول بأننا لا نعني باللغة المنطوقة ما يقابل لغة الكتابة (أو اللغة الفصيحة بالنظر إلى مسألة المستويات)؛ أي اللهجات المحكية، وإنما نعني بها الشكل المنطوق للغة الكتابة. فالتفرقة هنا ليست تفرقة بين مستويات لغوية، وإنما هي تفرقة بين هيئتين للخطاب بلغة واحدة. وهذا هو المفهوم العلمي في البحوث المتخصصة في اللغة المنطوقة في اللسانيات الحديثة.

ويعرف شانك / شونتال اللغة المنطوقة بأنها الكلام التلقائي المصوغ صياغة حرة في مواقف تبليغية طبيعية. إنها إذن اللغة بمعنى الاستخدام اللغوي لا النظام اللغوي. ويستعمل مصطلح (الموقف التبليغي Kommunikationssituation) مرادفًا لموقف الكلام Sprechsituation. ويندرج تحت الموقف التبليغي الموقف الاجتماعي soziale Situation الذي يصنعه شخصان على الأقل، يشتركان في أفعال شفهية محددة، في نوع من التفاعل الممركز Zentrierte Interaktion. والتفاعل الممركز هذا يعني – كما يشير جوفمان Goffman – إلى توجه اهتمام المشتركين في الكلام مرارًا إلى شئ أو موضوع بعينه[1].

أما الموقف الاجتماعي، فيعني موقفًا تصدر فيه عن شخص أو عدة أشخاص سلوكيات ومعاملات اجتماعية: قلت أو كثرت.

ويخرج عن حد اللغة المنطوقة على النحو السابق، اللغة المفتعلة أو التي يداخلها التكلف simulierte. وتخرج عن حدها كذلك اللغة المسرودة أو لغة التخييل السردى fiktive واللغة المقروءة rezitierte، واللغة المنطوقة التي تعني التربية اللغوية (أي التدريب على النطق المعياري، والتلفظ تبعًا للإقليم، أو اللغة الفصيحة، باختصار: بمعنى النطق الفصيح للغة بعينها Buehnensprache).

---

(1) Schnk – Schoenthal, op. cit., S. 7, Goffman, op. cit., S. 81

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويمكن التعرف على العلامات المميزة للغة المنطوقة الحقيقية بمقابلتها باللغة المنطوقة التي تحرر بها المنشورات (أي ما يصدر أو ينشر من مجلات وكتب وغيرها من الأعمال المنشورة) وباللغة المكتوبة. ونلاحظ هنا أن هذه الأشكال الثلاثة من اللغة تختلف فيما بينها باختلاف شروط إنتاج كل شكل منها وكيفية تشكله وتكوينه[1].

وقد مثل شانك / شونتال للشكل الأول بحوار بين ثلاثة متحاورين، كانا قد سجلاه ثم أعادا كتابته دون تدخل في الصياغة. وكانت ملحوظاتهما على هذا الشكل ما يلي:

(أ) لم تكتمل بعض الجمل إلى آخرها.

(ب) تبدأ أكثر الجمل بحرف العطف und (وقد قارنت ذلك بحوارات باللغة العربية ولاحظت توالي الجمل المعطوفة بالواو أيضًا).

(ج) التعبير اللغوي (أو الإنشاء) أقصر نسبيًا مما نجده في الشكل الثاني التالي (وهو عبارة عن حوار منشور في كتاب تعرض لمقتضيات التحرير).

(د) كثيرًا ما يتناوب المتكلمون الحوار.

(هـ) يتحدث أكثر من شخص أحيانًا في وقت واحد.

(و) اشتمل نص الحوار على ما يعرف في بحوث اللغة المنطوقة وعلم اللغة النصي باسم (أدوات التقوية اللغوية Abtoenungspartikel)[2].

(ز) يحتك المتحدثون أحدهم بالآخر عن طريق الخطاب المباشر.

(ح) لا يمكننا تحديد معنى بعض التعبيرات إذا نظرنا إليها على أنها وحدات معجمية لا غير (وهذا يعني أن للموقف التبليغي أو المقام التواصلي دوره في تحديد المعنى).

---

(1) Schank / Schoenthal, op. cit.,

(2) والأدوات المقوية تعني هنا كلمات صغيرة جامدة تحدد موقف المتكلم مما يقال أمامه. هذه الكلمات الصغيرة قد لا تكون إجابة عن سؤال، وقد لا تتصدر الجملة. وهي تتعلق بفحوى الجملة كاملة. إنها تندمج في الجملة وتتكامل معها. وقد تتغير دلالاتها بتغير مواقعها التركيبية وتغير نبرها. ويمكننا أن نضرب على هذه الادوات مثلاً بكلمات وعبارات نحو: حقًا، فعلاً، هو هذا، لا بأس...الخ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما الشكل الثاني، فيمثله حوار منشور في كتاب. وقد خضع هذا الحوار لمقتضيات التحرير. فهو إذن حوار محرر. وتتلخص الملحوظات التي سجلت على هذا الشكل فيما يلي:

(أ) اختصر النص الإجمالي شيئًا ما.

(ب) اكتملت هنا الجمل التي جاءت نظائرها في الشكل السابق ناقصة.

(ج) يسقط حرف العطف und (في النماذج العربية: الواو) أول الجملة. وتستخدم هنا ضروب أخرى من الروابط، نحو: بالإضافة إلى، فضلاً عن ذلك... الخ.

(د) حذفت العلامات التي تدل على التجزئة Segmentierung[1].

(هـ) تبدو التعبيرات اللغوية أطول نسبيًا من الشكل السابق.

(و) يبدو تغير المتكلمين وتناوبهم الحوار هنا أقل من الشكل السابق.

(ز) لا نجد أكثر من متحدث واحد في وقت واحد.

(ح) حذفت بعض الأدوات المقوية التي احتوى عليها الشكل السابق.

(ط) احتفظ هنا بشكل الخطاب.

(ي) نفتقد هنا إلى من يدير الحوار.

(ك) حذفت التعبيرات التي لا يمكن تفسيرها وتحديد معانيها في حدود كونها وحدات معجمية فحسب.

أما الشكل الثالث، فيمثله نص محرر (في جريدة مثلاً) يحكي المعلومات التي وردت في الحوار؛ أي تتحول فيه المعلومات التي احتوى عليها الحوار إلى خبر. ويلاحظ على هذا الشكل ما يلي:

(أ) اختصر النص الإجمالي للحوار اختصارًا شديدًا.

(ب) بدت الجمل هنا مركبة نسبيًا.

---

(1) والتجزئة هنا بمعنى الطريقة المتبعة في الفصل بين الكلمات أو الجمل بالعلامات المعروفة في اللغة المكتوبة، كالنقط والفواصل ونحوها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(ج) تلاشي تغير المتكلمين.

(د) تحول الخطاب المباشر إلى خطاب غير مباشر.

(هـ) نتج عن كل ذلك انتفاء خاصية المخاطبة أو المحادثة Anrede.

(و) أسقطت الأدوات المقوية، فهي من العلامات المميزة للتعليقات العفوية Kommentare قبل أن تكون مميزة للأخبار Nachrichten.

ويصوغ شانك/ شونتال ما سبق من ملحوظات عن أشكال النصوص الثلاثة بعضها بإزاء بعض صياغة جدولية على نحو ما يقدمه الشكل التالي (الشكل ٨):

	نص ١	نص ٢	نص ٣
مستوى الاحتكاك	عناصر تبين حالة الاحتكاك وبقاءه كالمحادثة	عناصر أقل تظهر حالة الاحتكاك وبقاءه	لا توجد أي عناصر تدل على هذا الاحتكاك
طول التعبيرات المفردة	أقصر نسبيًا	أطول نسبيًا	أقربها إلى الطول
بنية الجملة	غير محكمة غالبًا	محكمة النظم	محكمة النظم
الربط بين الجمل	توالي الربط بالحرف und (= الواو في العربية)	الربط بأدوات متغيرة	الربط بأدوات متغيرة
الأدوات المقوية	متكررة	موجودة	ممكنة[1]

الشكل (٨)

في ضوء هذه المقارنة، يمكننا - مبدئيًا - أن نكمل تعرفنا على اللغة المنطوقة بمعاونة علاماتها المميزة التالية:

(أ) أنها لغة تشتمل على عناصر حوارية ظاهرة تدل على الاحتكاك والاتصال بين المتكلمين، وتدل كذلك على تغير هؤلاء المتكلمين، وتناوبهم، نحو: المحادثة.

---

(1) Schank / Schoenthal. Op. cit., SS. 8-10

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(ب) أنها لغة تميل عادة إلى استخدام جمل غير محكمة النظم.

(ج) يشيع في اللغة المنطوقة استخدام الأدوات المقوية التي تدل على التفاعل اللغوي المباشر ورد الفعل التلقائي.

(د) العطف في اللغة المنطوقة بين جمل قصيرة وثانوية أكثر شيوعًا منه في الأشكال الأخرى.

فإذا ما تغير نمط اللغة المنطوقة المألوفة على النحو السابق، وتعرضت لمقتضيات التحرير، وتعديل الصياغة، على نحو ما نعرفها مثلاً في المقابلات الصحيفة، اكتسبت السمات والخصائص التالية:

(أ) إنقاص العناصر الديالوجية.

(ب) مع الاحتفاظ بالحد الأدنى لصورة الديالوج.

(ج) استبعاد التعبيرات غير محكمة النظم.

(د) الميل إلى التخفف من الحشو والفضلات الكلامية Redundanz.

(هـ) تنوع الروابط بين الجمل.

(و) الإعداد الأسلوبي وفقًا لمعايير أسلوبية يخضع لها النص المنشور[1].

---

(1) Schank / Schoenthal, op. cit., SS. 10-11

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل السادس

اللغة المنطوقة والموقف التبليغي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اللغة المنطوقة والموقف التبليغي

رأينا أن الإحاطة بالموقف التبليغي (وما يندرج تحته من موقف اجتماعي) تمثل ركنًا أساسيًا في مفهومنا للغة المنطوقة. وقد تناول الموقف أو السياق، وإن كان الموقف هنا أكثر ارتباطًا بالمكون الكلامي داخل الموقف الاجتماعي) غير واحد من اللغويين المحدثين، على اختلاف اتجاهاتهم، وذلك في إطار تأكيدهم للوظيفة الاجتماعية للغة. يقول بلومفيلد مثلاً:

"إن معنى الصيغة هو الموقف Situation الذي ينطق فيه المتكلم هذه الصيغة والاستجابة Response التي تتولد لدى المستمع. ويرتبط موقف المتكلم واستجابة المستمع أحدهما بالآخر ارتباطًا وثيقًا. إن الموقف الذي يسمح لنا بنطق صيغة لغوية، يتنوع تنوعًا كبيرًا. ويخبرنا الفلاسفة بأن الحقيقة هي أنه لا يوجد موقفان متشابهان تشابهًا تامًا"[1].

ويؤكد فيرث أنه ينبغي أن يهتم عالم اللغة اهتمامًا أساسيًا بالنسق اللفظي لسياق الموقف Verbal Proscess in the con. of Sit. وليس للغة – من وجهة نظر فيرث – أهمية إلا في سياقها الموقفي[2]. والكلام – كما يقول فيرث – شئ ديناميكي؛ وذلك أنه نشاط شخصي واجتماعي، يتفاعل مع قوى أخرى في موقف بعينه[3].

وإذا كانت هذه هي سمة الكلام، فإن الخاصية الأولى للموقف التبليغي هي كذلك خاصية الديناميكية أو الحركية، كما يقول فان دايك T. A. Van Dijk. فالموقف ليس حالة ممكنة من حالات العالم فحسب Possible World - state، ولكنه متوالية من الحالات. فالمواقف التبليغية لاتظل متشابهة عبر الزمن، ولكنها متغيرة. من هنا عرف الموقف التبليغي بأنه متوالية من الأحداث Course of events. ويشير فان

---

(1) Bloomfield, op. cit., pp. 139-140
(2) Coulthard, op. cit., p. 1
(3) Firth, op. cit., 16

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دايك إلى ما يسمى بسياق الحال actual Context. وهو السياق الممكن في حالة محددة. وهو يتحدد بجزء من الزمان والمكان اللذين تحقق فيهما الأنشطة المشتركة بين المتكلم والمستمع اللذين يحددان خواص الـ (هنا) والـ (الآن): منطقيًا، وفيزيقيًا، ومعرفيًا. إن الموقف التبليغي يتغير من لحظة إلى أخرى. ويمس هذا التغير الموقفي موضوعات الكلام في حالات الموقف المتوالية[1].

يحتوي الموقف التبليغي إذن على عدة مكونات، هي: المكان، والزمان، والمتكلم، والمستمع، والموضوع. ويكتمل الموقف التبليغي بالموقف الاجتماعي الذي يكون بدوره حديثًا قصيرًا بين أقارب، أو حديثًا غير رسمي، أو مقابلة، أو محاضرة أمام أناس غير معروفين عند المتكلم، يطرحون عليه أحيانًا بعض تساؤلاتهم.

ويلاحظ المتأمل أن بحوث اللغة المنطوقة قد أكسبت البحث في الموقف التبليغي (ونظرية السياق بعامة Contex-Theory)، بعدًا جديدًا، حين ركزت على وصف المواقف الاجتماعية وبيان أهميتها للعملية التبليغية kummunikatives Handeln. ولعل خير رصد للعلامات المميزة للمواقف وما يصحبها من آثار في العملية التبليغية ما نجده عند شانك / شونتال. وقد عرفت هذه العلامات بأهميتها، وبحثت من جوانب موضوعية عدة، نوجزها - للقارئ العربي - فيما يلي:

(١) عدد المشتركين :

وهو على الأقل شخصان. فطبقًا للطبيعة الحوارية للغة المنطوقة يشترك في الكلام عادة متحدثان. وقد لا يشارك أحدهما مشاركة فعلية، كالمستمع للمحاضرة.

وربما توفرت لأحد المشتركين في الحديث إمكانية الاستجابة للعملية التبليغية، كما هي الحال في (الريبورتاج).

---

(1) Van Dijk, T., Text and Context, Explorations in the Semantics and Pragmatics of Discourse, Longman, London and New York (1977) p. 191-192

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٢) العلاقة بين المشتركين : وهي تضم العناصر الرئيسة التالية:

(أ) العمر: أي الفروق السنية بين المشتركين في العملية التبليغية. وهي فروق ينبغي مراعاتها جيدًا عند وصف الموقف الكلامي، لاسيما إذا كان المشتركون من أجناس مختلفة.

مثال: طفل – شرطي، طالبة – جد.

(ب) التعليم: إذ تعد درجة التعلم في ذاتها مهمة عند المشتركين في الحديث. وكذلك الحال مع الفروق النوعية بين المتعلمين.

(ج) درجة التعارف: كالتي بين أم وابنتها، أو بين أقارب، أو زملاء في مهنة، أو زبائن في محل جزارة، أو مارة في الطريق. وفي هذه الأمثلة درجات متفاوتة من الإلف: من الغرابة الكاملة حتى الإلف الكامل. وقد تكون العلاقة ناتجة عن علاقة غير مباشرة، على نحو ما يكون بين مواطن بسيط وشخصية مشهورة، كدبلوماسي أوعالم أوممثل.

(د) تكرار الأحداث التبليغية: ويهمنا هنا المدة الزمنية التي يدوم فيها التبليغ من ناحية، وتكرار التبليغ وكثافته من ناحية أخرى.

(هـ) المعرفة السابقة بالعملية التبليغية: وترتبط هذه العلامة المميزة بالعلامتين (ج) و(د). وهي ترتبط كذلك بوقوع عناصر غير لفظية (مثل الإشارات) في الحدث التبليغي لتشير إلى ما هو معروف من قبل.

(و) وجود العلاقات المكانية والجسمانية بين المشتركين في العملية التبليغية. ويدور هذا الأمر حول التصور الإنساني واستغلال الأبعاد المكانية الفعلية. وهنا ينبغي لنا أن نلاحظ الحركات الجسمية العالمية، واتجاه التفاعل بين المشتركين في الحديث، وحركة الأذرع والركبتين ... الخ. وينبغي لنا - من ناحية أخرى – أن نلاحظ علاقة حركة الجسم بالصيغة اللغوية، وتبادل النظرات، والإحساس بالدفء أو الإحساس بالروائح، وحدة الصوت، ونحو ذلك.

وغني عن البيان أن هذه العلامات المميزة ليست علامات مطلقة، وإنما هي – في حقيقة الأمر – علامات أساسية ترتبط بالموقف التبليغي واختلافه من حال إلى حال.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(ز) توزيع الأدوار: ومن المهم هنا أن نلاحظ أثر المكانة أو الوضع الاجتماعي Social position (أو الامتيازات الاجتماعية) لأحد المشتركين في الحديث؛ إذ يلاحظ أن الاشتراك في موقف بعينه يرتبط بمنزلة الفرد ووضعه الاجتماعي: فهناك أناس لا تجري معهم مقابلات بأي حال، كما أن بعضهم ليست لديهم الاستعدادات للمقابلة.

(٣) الوسيط التبليغي :

ويرتبط الوسيط التبليغي بالتفاعل وجهًا لوجه face – to –face communication، أو بالمحادثات التليفونية، أو بالتبليغ عن طريق الراديو أو التليفزيون، باعتبارهما الوسائط التبليغية الأشيع.

(٤) مكان التبليغ :

ولا يهم هنا التحديد الإقليمي لمكان التبليغ، ولكن يعنينا التحديد المكاني بمعنى الأماكن الاجتماعية، مثل: الحانة، والشارع، والمكتب وغرفة الكشف الطبي، ودور العبادة، وحجرة الدراسة أو حتى دورة المياه.

فضلاً عن ذلك، ينبغي لنا أن نميز بين كون المكان قد اختير اختيارًا عشوائيًا أو اختير عن تدبير وقصد، وكونه مكانًا محايدًا أو غير محايد، بمعنى أهميته الاجتماعية عند المشترك في الحديث وأهميته لموضوع الحديث أيضًا.

(٥) زمان وقوع الحدث التبليغي ومدته :

وينبغي لنا هنا أن نفرق بين كون المقابلة مقصودة أم وقعت وقوع مصادفة. وهناك عدة أنواع من المواقف التبليغية التي نألف تقيدها بمدة محددة. ومن أجل ذلك يمكن أن نصنف المواقف التبليغية تبعًا لتفاوتها في المدة التي تستغرقها (أقصر، متوسطة، أطول).

وقد بات مقبولاً القول بأن للمدة المتوقعة تأثيرها في أسلوب التفاعل Interaktionsstil بين المشاركين في العملية التبليغية. ففي مواقف النجدة مثلاً تختزل العملية التبليغية بين المشاركين اختزالاً شديدًا. وفي حالات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أخرى، يؤثر إعياء المشاركين في الموقف التبليغي في لحظة ما تأثيرًا ملحوظًا في نتائج المشاركة.

(٦) إخراج المواقف التبليغية :

يجب – كما فعل جوفمان Goffmann[1] – أن نفرق بين المواقف التبليغية التي تخضع للإخراج والمواقف الأخرى التي لا تخضع له. أما الأولى فنقصد بها المواقف التي تخضع لتشكيل مكونات الموقف التبليغي تشكيلاً بسيطًا أو لافتًا. فإخراج الموقف يعكس مسبباته. ويتناول إخراج الموقف مكونات مختلفة، منها:

(أ) اختيار نظام الجلسة للمشاركين.

(ب) طرح موضوعات بعينها وتجنب الحديث في موضوعات أخرى.

وبوجه عام، نتوقع أن يكون الحدث التبليغي قد تعرض للإخراج، إذا كان قد صدر عن التخطيط لاشتراك أشخاص بذواتهم؛ أي أن الإخراج أو التدبير يكون لخدمة تقصي اهتمامات محددة وتتبعها (ويمكن أن نضرب على ذلك مثلاً بحلقة في برنامج تليفزيوني تراعي في أماكن جلوس المشاركين فيها اعتبارات اجتماعية وموضوعية عدة).

(٧) التلقائية :

ويرتبط مفهوم التلقائية هنا بدرجة العلم أو المعرفة بالعملية التبليغية والإعداد لها. ويمتد الإعداد إلى النتائج المضمونية المحتملة، كما يمتد إلى العناية بالتشكيل اللغوي sprachliche Formulierung. وهنا يمكن أن نجعل مفهوم (القصدي) مقابلاً لمفهوم (التلقائي).

(٨) مقاصد المشاركين في العملية التبليغية :

ونعني بهذه المقاصد الأفعال المقصودة الموجهة إلى هدف بعينه. ففي حدث تبليغي أو حالة خطابية معينة Redekonstellation، حددت مدة التفاعل وجهًا لوجه فيها واتفق عليها، يمكن أن تمتد فترة أخرى محددة

---

(1) Goffmann, E., Das Individuum im oeffenthctichen Austausch, Mikrostudien zur oeffentlichen Ordnung, Frankfurt (1974) S. 409

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نسبيًا. ويسمى المقصد الذي يضم في كنفه الحدث التبليغي بأسره باسم (المقصد الإجمالي). وهنا نطرح سؤالاً: هل يمكن أن ننطلق من مقصد إجمالي واحد، أم ينبغي لنا أن نجعل لكل مشترك في العملية التبليغية مقصده الإجمالي الذي يخصه؟. ومازالت العلاقة في الحالة الثانية مفتقرة إلى توضيح: فهي علاقة التكامل بين المقاصد الإجمالية. وربما كانت علاقات التقابل أو التضاد التام (على نحو ما نجد في مناظرات الجدل والخصومة).

ويمكننا أن نميز في الحدث التبليغي بين حالة البداية (A=) Ausgangszustand وحالة الهدف (Z=) Zielzustand. ويُبنى المقصد الإجمالي على أساس الانتقال من الحالة (A) إلى الحال (Z).

في ضوء ما سبق، نستطيع أن ننظر إلى الحدث التبليغي من زاويتين اثنتين:

إحداهما: هي النظر إلى الحدث التبليغي باعتباره كلا يتحلل إلى وحداته الجزئية. وتسمى هذه الوحدات باسم (المقاصد الجزئية). فإذا كان المقصد الإجمالي عند مريض متردد على العيادة هو أمله في استرداد عافيته، فإن مقصده الجزئي هو الاستفسار من الطبيب المعالج عن الأعراض المرضية، أوالتخلص من الآلام أو الاستعلام عن المدة التي يحتمل أن يستغرقها هذا المرض.

والأخرى: هي النظر إلى الحدث التبليغي على أنه وحدة جزئية من (كل)، حيثما يتضمن (الكل) خطة طويلة الأمد، كإجراء محادثة في إطار محادثات أو مفاوضات استغرقت أسبوعًا كاملاً مثلاً.

(٩) الجانب الموضوعي :

فاختيار موضوعات التبليغ مما يتوافق ويتكامل مع العوامل المذكورة آنفًا. وعلى الرغم من أن للموضوع أهمية كبرى في العمليات اللغوية، فإن البحث في هذه المسألة مازال في بداياته. إن تحديد الموضوع – أو الموضوعات – ليس بالضرورة جزءًا من عملية التفاعل؛ فقد يعالج

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الموضوع في أحاديث قصيرة، يعني بها – في المقام الأول – في دراسة التواصل الاجتماعي. ويحتم الموقف التبليغي – في حالات كثيرة – السكوت عن موضوع ما والانتقال إلى موضوع آخر.

(١٠) معالجة الموضوع :

عند التعبير عن المقصد تعبيرًا مضمونيًا، تتبع استراتيجيات متفاوتة، تجمع بين إنجاز المقاصد الإجمالية والمقاصد الجزئية. ولكل استراتيجية أدواتها ووسائلها المنطقية؛ كالمعالجة بواسطة التوافق Assoziation على حقيقة الشئ (نعرف، نألف، تعلمون طبعًا) أو بواسطة الوصف Description، أو بواسطة إقامة الحجة والاستدلال Argumentation.

ويؤثر نوع المعالجة تأثيرًا جزئيًا في كيفية إنجاز المضمون، على نحو ما نجد مثلاً في (الإعلان):

- فالمقصد هنا هو الإقناع بـ (الضرورة الحيوية) لبضائع استهلاكية بعينها.

- والوسيلة المختارة هي الوصف، نحو: لحم صاف، من غير إضافات نباتية.. وقد نصف – في مثال آخر – فتاة بأنها: ممشوقة القوام، ذات معدن أصيل...

- والاستدلال أو إقامة الحجة نحو قولنا: الورد نظيف حتى إننا لا نرى أحدًا يغسل يده بعد لمسه!.

- وترتبط درجة الإنجاز هنا كذلك بدرجة تناول عناصر الموقف الخارجي، وهو ما نذكره في العلامة المميزة التالية.

(١١) علاقة الموضوع بالموقف الخارجي من حيث الزمن :

من الأمور النمطية المألوفة مع (الريبورتاج) أن إنجازه يمكن أن يكون موازيًا للحدث الذي يدور حوله. ويعني هذا أن موضوع التفاعل يتزامن مع لحظة الكلام. وربما وجدنا مثالاً مناسبًا على ذلك في التعليق على مباراة كرة قدم في الوقت نفسه الذي تلعب فيه هذه المباراة.

بالإضافة إلى ما سبق، هناك إمكانيات أخرى لعلاقة الموضوع بالموقف الخارجي زمنيًا؛ كالحديث عن موضوع يسبق زمنه، أو موضوع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فات أوانه، فضلاً عن حدوث الكلام في زمنه. ويمكننا أن نضيف إلى كل ما سبق طريقة أخرى لمعالجة الموضوع، هي المعالجة التي لا ترتبط بالزمان الذي تنتج فيه، نحو قولنا مثلاً: فراييورج مدينة جميلة!.

(١٢) العلاقة بين الموضوع والمتكلم :

ويعنينا هنا على وجه الخصوص ثلاثة أمور:

أولها: أهمية المتكلم في الموضوع: وهنا ينبغي تصنيف الموضوعات تبعًا لتحليل وجهة النظر Einstellungsanalyse، كأن نقول: هذا موضوع مستحب، وهذا موضوع غير مقبول اجتماعيًا، وهذا موضوع لا يروق النفس.

وثانيها: استعداد المتكلم للموضوع: ونجد للاستعداد درجات مختلفة، نحو: غير مستعد – مستعد استعدادًا روتينيًا – مستعد استعدادًا خاصًا.

وثالثها: معرفة المتكلم السابقة: وهنا تتبدّى درجة معرفة المتكلم الخاصة بالموضوع.

(١٣) تحديد الموضوع :

عند بداية التفاعل قد يتفق على الموضوع وقد لا يتفق. والحالة الأولى مألوفة في المؤتمرات والندوات والمناقشات التليفزيونية. وغالبًا ما يعد تحديد الموضوع – أو تحديد موضوعات عدة – جزءًا من الحدث التبليغي ذاته، كالموافقة على جدول أعمال الجلسة العامة لمجلس الشورى.

(١٤) درجة العلانية :

ترتبط درجة العلانية بمدى صراحة المتكلم – أو المتكلمين – مع المشتركين في الخطاب.

وتتبدى صراحة أحد المشتركين في هذا الخطاب بمصادرة مشاركة شخص آخر. وهذا ما يحدث مثلاً في جلسة سرية (غير علنية) تعقدها المحكمة. وقد يكون الحدث التبليغي علنيًا في البث التليفزيوني أو الإذاعي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١٥) ألفة الموقف :

ونعني بها المشاركة المتكررة في مواقف اجتماعية مختلفة، تمدّ المشارك بمعرفة معايير التصرف في موقف اجتماعي ما: فرجل السياسة مثلاً اعتاد الكلام علانية حتى ألفه جدًا. والأمر كذلك مع الطبيب، أو الموظفة في مكتب للسفريات، فهما قد اعتادا التحدث مع أناس غرباء.

وهناك حالات أخرى تنخفض فيها درجة ألفة الموقف، مثل موقف مواطن يمثل أمام لجنة المحكمة لأول مرة.

على أية حال، فلا يشترط بالضرورة أن يكون الموقف مألوفًا عند المشاركة. وهذه هي الحال مع العلامة الأخيرة التالية من العلامات المميزة للموقف التبليغي.

(١٦) تفاوت الموقف :

ويبنى التفاوت في الموقف على أساس المألوف أو المتوقع في مواقف بعينها. بعبارة أخرى: يبنى هذا التفاوت على أساس الوعي السابق بالنتائج المحتملة لمواقف اجتماعية محددة. ومثال ذلك أن الممتحن إذا ما أدرك – بعد رهبة – أنه اجتاز امتحانه التحريري بتفوق، سوف يختلف موقفه من الامتحان الشفهي: إذ تزول عنه أسباب الرهبة والخوف المعتاد[1].

والحق أن ثراء المواقف الاجتماعية المصاحبة للأحداث التبليغية وديناميكيتها، مما يفتح الباب لأن نستدرك على شانك / شونال علامات جديدة، لم تلق منهما العناية الواجبة. ومن هذه العلامات مثلاً ما تدلنا عليه (التقريبية Proxémique) وهي فرع من فروع علم السيميولوجيا Semiology، نحو المسافة بين المرسل والمتلقي. فقد لوحظ أن المسافة التي نحتفظ بها بيننا وبين محدثنا، والمكان الذي نحتله في مجلس الرفقة، أو حول طاولة...الخ، هي علامات تدل على وضعنا الاجتماعي. ومن الطريف أن نشير هنا إلى دراسة هول E. T. Hall (الكلام الصامت

---

(1) Schank / Schoenthal, op. cit., SS., 29-36

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Silent Language) التي حاول فيها تحديد ثماني مسافات دالة بين متحدثين أمريكيين على النحو التالي:

١- متقارب جدًا: همس خفيف / سري جدًا. (من ١٥ – ٢٠سم)

٢- متقارب: همس مسموع / حميم. (من ٢٠ – ٣٠سم)

٣- مجاور: في الداخل، صوت منخفض / حميم في الخارج، ملء الصوت. (من ٣٠ – ٥٠سم)

٤- حيادي: صوت خفيض، مدى ضعيف / موضوع شخصي. (من ٥٠ – ٩٠سم)

٥- حيادي: ملء الصوت / موضوع غير شخصي. (من ١,٣٠ م – ١,٥٠م)

٦- مسافة عامة: ملء الصوت / معلومات عامة مؤداة، وبتفخيم بعض الشئ / الحديث إلى فريق أو مجموعة. (من ١,٦٠م – ٢,٤٠م)

٧- عبر الغرفة: صوت عال / يسمعه غير المتحدث معه. (من ٢,٤٠م – ٦م)

٨- بما يتجاوز الحدود:صوت عال/ تحيات من بعيد، رحيل.. الخ: (من ٦م – ٣٠م)[1].

ولا شك أن طبيعة الموضوع ومقاصد المشتركين في المحادثة مما يؤثر تأثيرًا شديدًا في تحديد المسافة بينهما: اقترابًا وابتعادًا. ومن الطريف هنا أن نشير إلى اختلاف الشعوب في تقدير المسافة بين المتحدثين بوجه عام: فالأوروبيون والأمريكيون بعامة يميلون إلى اختصار هذه المسافة. وربما أثار هذا الاختصار أو التقارب عواطف جنسية أو عدوانية في نفوس الأمريكيين الشماليين كما يخبرنا غيرو[2].

---

(1) بيار غيرو: السيمياء، ترجمة أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ط أولى (١٩٨٤)، ص١١٩-١٢٠.

(2) بيار غيرو: السيمياء، ص١٢٠-١٢١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومع علمنا بتفاوت أبعاد المسافات تبعًا للموضوع ودرجة الألفة بين المتحدثين، فإننا نحسب أن المسافات المألوفة عند العرب في المحادثات العادية التي لا تخضع لعوامل الإخراج على نحو مقصود ومسافة مختارة، هي غالبًا المسافة الحيادية الأولى (من ٥٠ – ٩٠سم) والثانية (من ١,٣٠ – ١,٥٠م).

فضلاً عما سبق، يمكننا أن نستدرك العلامات التي تدل على الهوية، كالشارات والشعارات، التي قد ترتبط بجماعة اجتماعية أو مهنية أو ثقافية أو دينية...الخ. ونضيف إلى تلك العلامات أيضًا إيحاء الموقف الاجتماعي أحيانًا بمعان ذاتية عند المستمع، في وقت بعينه، قد لا ترمي إليها مقاصد المتكلم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث السابع

الطبيعة الحوارية للغة المنطوقة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الطبيعة الحوارية للغة المنطوقة

اللغه المنطوقة حوارية بطبيعتها؛ لأنها – في جوهرها – محادثة حوارية. والمحادثة الحوارية عملية تبليغية بين شخصين على الأقل:

١- تحدث بينهما في وقت واحد،

٢- وفي مكان واحد،

٣- عبر قناة اتصال بعينها؛ هي قناة الاتصال السمعية، أو السمعية والبصرية معًا،

٤- بحيث يستطيع أحدهما في أي وقت من زمن المحادثة أن يكون له دور في الكلام،

٥- وبحيث يربطهما موضوع مشترك.

ويمكننا - بالمصطلح السوسيولوجي– أن نجمع عناصر التعريف: ٢، ١ تحت مصطلح (موقف المواجهة face - to - face Situation)[1].

وتتخذ المحادثة الحوارية صورتين اثنتين هما: الديالوج والمونولوج. وتعني الصورة الأولى الحوار أو المخاطبة بين شخصين. أما الصورة الثانية، فهي أن يخاطب المرء نفسه. ومن أجل ذلك، فإن الديالوج يتميز بتغيير العلاقة بين المرسل والمستقبل (وهي علاقة ثنائية تتخذ هيئة: متكلم – مستمع، أو: كاتب – قارئ)؛ أي أن الديالوج يتميز بالمبادلة اللغوية exchange. أما المونولوج، فإن المستقبل (وهو متخيل غالبًا) يبقى معه صامتًا؛ أي أن المونولوج يخلو من المبادلة اللغوية. ولا تختلط الفروق بين الديالوج والمونولوج بالفروق بين (العالم المتحدث عنه besprochene Welt) و(العالم المحكي erzaehlte Welt)؛ ذلك أن وظيفة الديالوج – في الأكثر – هي التحادث، بينما تبدو وظيفة المونولوج – في الأكثر – وظيفة حكائية. بعبارة أخرى: فإن جوهر الديالوج هو تبادل الحديث، بينما يتجلى جوهر المونولوج في السرد والحكاية.

---

(1) Schank / Schoenthal, op. cit., S. 64

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا ريب أن الديالوج شئ أولي، وهو أولي أيضًا بالمفهوم التاريخي؛ ذلك أن اللغة باعتبارها أداة تفترض وجود مشاركين لغويين. وبالمثل، فإن اللغة المنطوقة تعد أولية، إذا قوبلت باللغة المكتوبة (وينطبق هذا بالتالي على النظام الصوتي في مواجهة النظام الكتابي، والشفرة المنطوقة في مواجهة الشفرة المكتوبة).

ويستنتج مما سبق، أن هناك تفاعلاً خاصًا بين اللغة المنطوقة والديالوج؛ فالديالوج هو الشكل الرئيس للغة[1].

والفكرة السابقة ليست – كما نرى – جديدة، فكثيرًا ما أشار إليها اللغويون، من مثل ديفيد آبر كرومبي David Abercrombie، الذي يذكر أن المحادثة Conversation (=Dialouge) هي النمط الرئيس للغة المنطوقة. وهو يجعل المونولوج النمط الحقيقي الثاني لهذه اللغة. ولكنه ليس دائمًا شكلاً منطوقًا خالصًا؛ لأنه قد يعتمد على نوع من اللغة المكتوبة التي تقرأ جهرًا[2].

من أجل كل ذلك، أدخل بعض اللغويين صورة المونولوج في قائمة لغة الكتابة واللغة المكتوبة، على نحو ما فعل ألوا جدليتشكا Alois Jedlicka في قائمته التي يصورها الشكل التالي (الشكل ٩):

لغة الكتابة	–	اللغة الدارجة
اللغة المكتوبة	–	اللغة المنطوقة
صورة المنولوج	–	صورة الديالوج
السمات العامة للتعبيرات اللغوية	–	السمات الخاصة للتعبيرات اللغوية
الميل إلى المحافظة	–	حيوية العناصر اللغوية وتجددها[3]

الشكل (٩)

---

(1) Soell, op. cit., S. 30

(2) Abercrombie, D., Conversation and Skpoken Prose, in: D. Abercrombie: Studies in Phonetics and Linguistics, London (1965) p. 3

(3) Soell, op. cit., S. 30

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذا كان المونولوج يعني مخاطبة الذات، فإن هذه المخاطبة قد تكون سرًا أو همسًا أو جهرًا. وليست وظيفة المونولوج في جميع هذه الحالات وظيفة توصيلية على نحو ما هو مألوف في نظرية الاتصال اللغوي، إلا إذا تغيرت صورته، وصار مقالة إنشائية أو سردًا. وهو – حينئذ – يمكن- كما فعلت هلجا فايدر Helga Feider – أن يتخذ مثالاً على اللغة المكتوبة. ومن أجل ذلك، فإن بحثها الموسوم بـ (الوصف النحوي المقارن بين الإنجليزية المنطوقة والإنجليزية المكتوبة) يمكن – كما يقول سول Soell – أن يعد بحثًا في المقابلة بين الديالوج والمونولوج[1].

وتبدو خلاصة هذه المقابلة في الشكل التالي الذي يقدمه لنا سول (الشكل١٠):

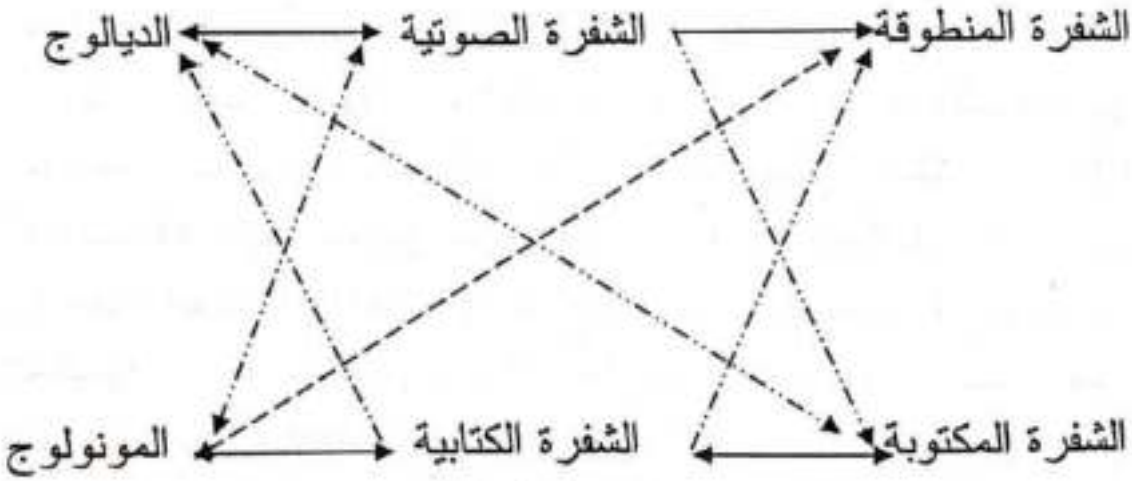

الشكل (١٠)

ونستطيع أن نضع على المحور الأعلى مؤشرات نحو (هذا، أنا، هنا، اليوم... الخ). وهي مؤشرات ترتبط باللغة الدارجة، وبالرغبة في الإيضاح، وبالموقف التبليغي (وهي في الوقت نفسه علامات على الديالوج)[2].

وإذا كان التفاعل بين اللغتين: المكتوبة والمنطوقة حقيقة لا يمكن إنكارها، فإن التفاعل بين الديالوج والمونولوج حقيقة ثابتة أيضًا.

---

(1) Soell, op. cit., S. 31
(2) Soell, op. cit., S. 31

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبمقدورنا أن نرى مثل هذا التفاعل في دخول نصوص مونولوجية في نصوص ديالوجية أحيانًا غير قليلة. وتفتح هذه المسألة الباب لدراسة ظاهرة التناص (أو التفاعل بين النصوص) Intertextuality في اللغة المنطوقة، بعد ما لقيته من عناية تستحق التقدير ففي بحث اللغة الأدبية المكتوبة. ونحن في حديثنا عن التفاعل بين اللغتين: المكتوبة والمنطوقة من ناحية، والتفاعل بين نصوص مونولوجية ونصوص ديالوجية من ناحية أخرى، ندرك الأهمية القصوى لبحث مسألة التناص إذا عرفنا أن التناص هو أحد المعايير الأساسية التي تتيح لنا الاعتراف بنصية النص.

لقد حرص العلماء في مجال علم لغة النص على جمع عينات من اللغة المنطوقة مع عينات اللغة المكتوبة جنبًا إلى جنب. ومثال ذلك ما فعله دوبوجراند de Beaugrande ودرسلر Dressler في جمعهما عينات لأنماط نصية متباينة لغويًا هي: إرشادات الطرق، وأغاني الأطفال، ومقالات صحيفة، وكتب علمية، ومحادثات متبادلة بين شخصين، وقصائد. وفي ضوء هذه النصوص عرّفا النص بأنه: حدث تبليغي تتحقق نصيته إذا اجتمعت له سبعة معايير هي: معيار التماسك Cohesion (ويختص بأشكال العلاقات المتبادلة بين مكونات النص السطحي (أي المفردات الحقيقية التي نسمعها أو نراها) داخل السلسلة اللغوية. ويعتمد هذا التماسك على علاقات نحوية ومعيار التآلف Coherence (ويختص بكيفية تآلف مكونات عالم النص فيما بينها؛ أي كيفية تشكيل المفاهيم والعلاقات الكامنة في النص السطحي، وقابلية هذه المكونات بعضها للبعض الآخر) ومعيار المقصدية Intentionality (وهو يرتبط بمستخدم النص لا بمادته على نحو ما في المعيارين السابقين. والمقصدية هي التي تجعل لعملية التوصيل النصي فاعلية. ويحتوي مفهوم المستخدم على كل من منتج النص ومستقبله) ومعيار القابلية Acceptability (ويرتبط بسلوك مستقبل النص، بحيث تصبح مجموعة الأحداث التي تكون نصًا متماسكًا متآلفاً مقبولة عند المستقبل، يستقي منها معرفة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من نوع ما) ومعيار الإخبارية أو الإعلامية Informativity (ويختص بمدى توقع الأحداث المعروضة في النص أو عدم توقعها، والإحاطة بهذه الأحداث أو الجهل بها. ولابد لأي نص من أن يكون إخباريًا على نحو أو آخر، مهما كانت صورة الإخبار والمضمون المخبر عنه) ومعيار الموقفية Situationality (ويختص بالعوامل التي تجعل النص مناسبًا لموقف الحدث وظرفه: فليس مناسبًا مثلاً أن تقرأ إرشادًا من إرشادات المرور يقول: "أسرع، منطقة سكنية"!؛ فالمناسب لموقف الحدث هنا هو تهدئة السرعة لا الأمر بها) وأخيرًا معيار التناص (ويختص ببحث علاقة النص بنصوص أخرى، والعوامل التي تجعل استخدام النص معتمدًا على ما يقدمه نص - أو نصوص سابقة- من معرفة، فهو إذن عبارة عن حوار النص مع نص أو نصوص أخرى تتدخل في تحديد القواعد التي تحكم مضمونه وتوجهه)[1].

وأود – بناء على استقرائي عدة نصوص منطوقة – أن أسجل الملحوظات العامة التالية:

أولاً: أن أكثر نماذج هذا التناص قد وردت في محادثات عائلية مباشرة، بينما تندر جدًا في المحادثات الرسمية العلنية.

ثانيًا: أن صور التناص اللغوية لا تقف عند حد الكلمات المفردة أو أنصاف الكلمات، بل تتعدى في حالات غير قليلة (لاسيما في المناقشات العاطفية والانفعالية) الجملة أو العبارة أو المنطوق، حتى تصل إلى التضمين بمثل شائع، أو قول مأثور؛ أو جزء من أغنية مشهورة أو طريفة.

ثالثًا: أن لهذا التناص المونولوجي أثره الواضح في النماذج التي يشيع فيها توجيه المقاصد الجزئية والكلية للخطاب على حد سواء، وربما استخدمت أداة للتعمية على المخاطب إذا اختلف معه المتكلم في وجهة النظر، أو إذا لم يبد المتكلم تفهمًا مع مقاصد المخاطب بوجه عام.

---

(1) de Beaugrande, Robert – Alain / Dressler, Wolfgang Ulrich, Introduction to Textlinguistics, Longman, London and New York (1981) p. 11

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذا كانت المهمة الأولى للغة هي إقامة الاتصال بين الأفراد، مكتوبًا أو منطوقًا، فإن أهميتها في صورة المونولوج، أو ما يسميه رومان ياكوبسون Roman Jacobson بالاتصال الداخلي Intrapersonnelle[1] مما يستحق التنويه به كذلك. وكثيرًا ما يعد المونولوج (بمعنى حديث الذات أو الاتصال الداخلي) تمهيدًا منظمًا (بكسر الظاء) لعملية المشاركة في الديالوج، بل لقد جعل تفريغه وإظهاره كلاميًا أداة فنية خطيرة فيما عرف في الرواية الحديثة بتيار الوعي. وهو مما يسمح للشخصية بأن تفصح عما تريد بما لا تستطيع أن تفصح به على نحو مباشر وعلني أمام مشاركين حقيقيين في الحديث.

---

(1) Jacobson, Roman. Linguistique et Communication, Laffont, Paris (1975) p. 107

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثامن

اللغة المنطوقة وعامل الإعداد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اللغة المنطوقة وعامل الإعداد

نود أولاً أن نقدم نموذج الكتابة والكلام عند جريجوري الذي يوضحه بالشكل التالي (الشكل ١١):

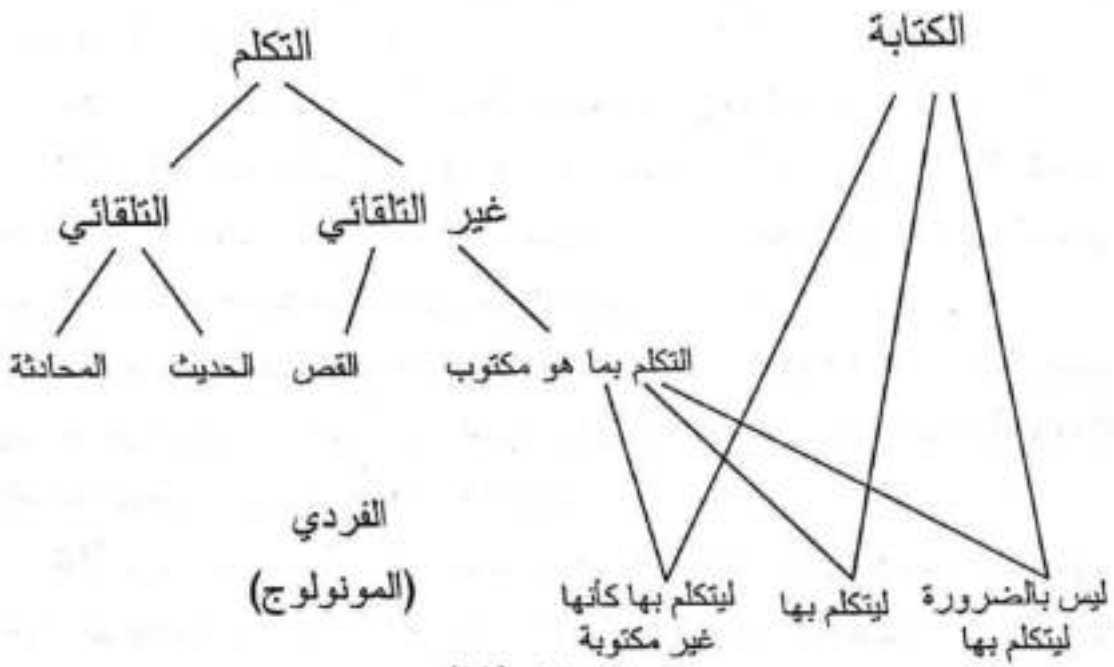

الشكل (١١)

وإذا كنا قد عرضنا فيما سبق للديالوج والمونولوج، فإن الذي ينبغي الالتفات إليه في الشكل السابق هو القص Reciting. فالقص خليط من الشفرتين: المكتوبة والمنطوقة. وعندما ننظر إلى الشكل السابق في ضوء عامل الإعداد، يمكننا أن نصل إلى تفريق جديد بين هاتين الشفرتين: فهناك أقوال معدة وأقوال غير معدة. ولا يتداخل هذا التقسيم مع تقسيم جريجوري في رسمه إلى: تلقائي وغير تلقائي؛ ذلك أن "غير التلقائي" يعني هنا عملية التلفظ أو التصويت Phonisierung بأقوال معدة من قبل (مكتوبة كتابة مباشرة أو غير مباشرة).

إن قراءة نص مكتوب أو تسميع نص من الذاكرة، أمران مختلفان عن إنتاج نص شفهي بعد إعداد وتجهيز. إن نصًا بني على هذا النحو - حتى وإن تم تشفيره Kodierung[1] إلى حد ما على غرار نسق الجملة في

(1) ونعني بالتشفير هنا إعادة كتابته وفقًا للرسم الإملائي وعلامات الوقف والترقيم في الشفرة المكتوبة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اللغة المكتوبة- هو دائمًا نص شفوي مباشر. إن وقت الإعداد مع الأقوال الشفهية محدود دائمًا (الكلام الحر، المقابلات... الخ) بالقياس إلى وقت الإعداد غير المحدود مع الأقوال المكتوبة[1].

والحق أننا إذا نظرنا إلى درجات الإعداد في اللغة بعامة في شئ من التدقيق، لرأينا ما يلي:

أولاً: أن اللغة لا تخلو في أشكالها كافة من مدة للإعداد.

ثانيًا: أن مدة الإعداد مع الأقوال الشفهية قصيرة جدًا، لا تكاد تحسب. ولذلك يقال بأن الأقوال الشفهية عادة غير معدة، وأن هذا الضرب من الإعداد هو – بالأحرى – نوع من التروي.

وقد فطن إيجلسون Eagleson إلى هذا الأمر؛فعنده أن أهم فرق يميز بين الشفرتين تمييزًا بنائيًا هو الفرق بين الكلام المتروي Premeditated والكلام غير المتروي Unpremeditated[2].

ثالثًا: أن ما سبق يفتح الباب كذلك للقول بأن الشفرة المكتوبة تعرف درجات متفاوتة من الإعداد؛ فقد تنخفض درجته جدًا (على نحو ما نجد في المذكرات والرسائل الشخصية). وقد تكون معدة أو معدة إعدادًا خاصًا (على نحو ما نجد في حالات كثيرة مثل: التقارير العلمية، والخطب السياسية، والمرافعات والأمور القضائية...الخ).

رابعًا: أنه يفتح الباب - من ناحية أخرى- للقول بأن الشفرة المنطوقة قد تكون قابلة للإعداد أحيانًا، بل قد تعلو فيها درجة الإعداد بالقياس على المعتاد في الكلام التلقائي، كما نجد في إلقاء المحاضرات، أو مناقشة الرسائل الجامعية، أو في بعض البرامج العلمية التليفزيونية؛ أي في الحالات التي لا يتغير فيها المتكلمون غالبًا.

خامسًا: أنه في حالة الديالوج تكون الأقوال الشفهية تلقائية وغير معدة. أما الأقوال المكتوبة، فهي ليست قابلة للإعداد فحسب، بل لا تكون عادة إلا معدة، مهما انخفضت فيها درجة الإعداد.

---

(1) Soell, op. cit., S. 22

(2) Eagleson, R., D., Premeditated and unpremeditiated Speech, in English Studies 39 (1985) pp. 145-154, p. 153

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سادسًا: أن التفاوت أو التذبذب في عامل الإعداد بين الشفرتين يتخذ أداة للقول باقتراب أساليب إحداهما من أساليب الأخرى؛ فالملاحظ أنه كلما انخفضت درجة الإعداد في الشفرة المكتوبة اقتربت من نظيرتها المنطوقة، بل ربما وصل هذا الاقتراب – أحيانًا – إلى حد التداخل بينهما في العملية التبليغية، بمعنى استعارة إحدى الشفرتين بعضًا من العلامات والخصائص اللغوية البنائية المميزة للشفرة الأخرى.

وأود أن أشير هنا إلى ملمح رئيس من ملامح السرد الروائي المعاصر؛ وهو الاقتراب من المواصفات البنائية والوظيفية للشفرة المنطوقة. ونحسب أن اقتراب الشفرة المكتوبة في السرد الروائي المعاصر من نظيرتها المنطوقة، يعكس نوعًا من التناغم بين البناء السردي والبناء الحواري داخل الرواية. ولنا أن نراه نوعًا من الانتقال من وظيفة الراوي الحصيف إلى وظيفة المتكلم العادي الذي يلغي المسافة بينه وبين قارئه بعفويته وتلقائيته.

ونلفت النظر هنا – على وجه الخصوص – إلى اثنين من أبرز الروائيين المصريين من جيل ستينيات القرن العشرين الذين عرفوا بهذا التكنيك، وهما يوسف القعيد وجمال الغيطاني.

على أية حال، فإن درجة التعليم تلعب دورًا في اختيار المتكلم تنويعاته وأدواته اللغوية، وإن كان سول Soell يجعل هذا العامل عاملاً ثانويًا[1]. والواقع أن هذه النظرة ليست نظرة مطلقة؛ ذلك أن درجة التعليم أو التعليم بعامة، مما يؤثر تأثيرًا كبيرًا في شكل الشفرة ومكوناتها، لاسيما في البلدان التي يتسع فيها البون بين المتعلم والأمي كالبلدان العربية بعامة، أو مناطق جغرافية معينة منها.

ومهما يكن من أمر، فإن الذي لا خلاف فيه أن التمييز بين الشفرات يتجلى تجليًا رئيسًا من خلال المستويات اللغوية Sprachregister (Sprachniveau =) ومن خلال الممارسة اللغوية Sprachpraxis ذاتها. ولننظر الآن إلى الشكل التالي (الشكل ١٢):

---

(1) Soell, op. cit., S. 44

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

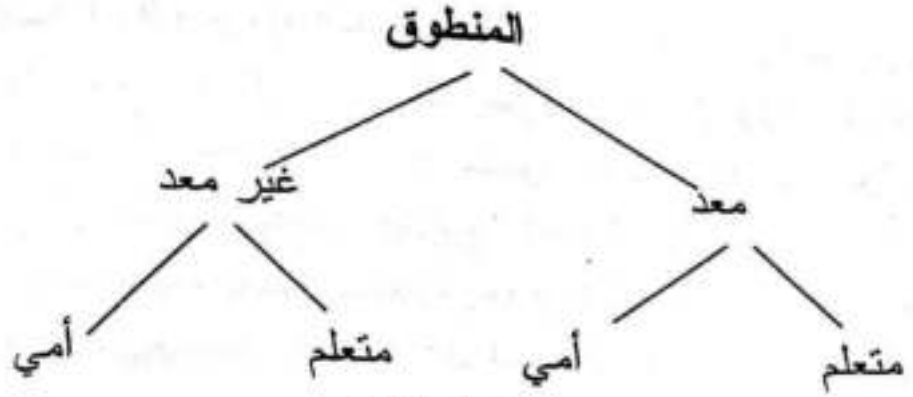

الشكل (١٢)

وبالنظر إلى هذا الشكل، نلحظ الابتعاد عن معيارية لغة الكتابة كلما اتجه بنا البصر ناحية اليسار.

وقد حاول جان بيتار Jean Peytard أن يصل إلى تصنيف أوسع للأقوال الشفهية عن طريق تناول العلاقة بين المرسل (المتكلم) والمستقبل (المستمع). وقدم لذلك نموذجًا مصنفًا على أساس السمات التالية:

المستقبل الحقيقي / المستقبل المفترض،

المستقبل القريب / المستقبل البعيد،

الاحتكاك المباشر / الاحتكاك المتباين،

التبادل / الكلام من جانب واحد،

الإثارة المباشرة / الإثارة غيرالمباشرة.

وتحتوي السمة الأخيرة على المثيرات التعبيرية الشفوية المباشرة؛ أي المثيرات التي تعتمد على نص مكتوب. وهي سمة لا تضم الشفرة المنطوقة وحدها، بل تسري كذلك على الشفرة الصوتية Code phonique. ويبدو نموذجه – مع شئ من التغيير والاختصار – فيما يقدمه الشكل التالي (١٣):

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السمات / الأنماط	حقيقي	قريب	غير مباشر	مباشر	تبادلي
١- المحادثة	+	+	+	+	+
٢- محادثة تليفونية	+	−	+	+	+
٣- محادثة عبر الراديو أو التليفزيون	−	−	(± ٠)	+	−
٤- لغة المسرحية	+	+	+	−	−
٥- لغة المسرحية التليفزيونية	−	−	(±)	−	−

الشكل (١٣)

ويبدو من هذا الجدول أن النمط (١) وهو المحادثة ذات العلامة + مع السمات الخمس جميعها، هو أكثر الأشكال من حيث كونه طبيعيًا وغير مباشر، هاتان السمتان اللتان يعرفهما القول الشفهي. أما النمط (٢) فيصور المحادثة التليفونية، ويرمز معه بالعلامة − (في خانة: قريب)، حيث لا يكون لتعبيرات الوجه أو حركات اليدين دور مباشر. أما النمط (٣)، وهو محادثة المشاهدين أو المستمعين (عبر جهاز التلفزيون أو الراديو)، فيمثل سمة أساسية للشفرة المنطوقة وللإثارة المباشرة direkte Stimulation. وأخيرًا، يمثل النمطان (٤) و(٥) نوعين من الشفرة المنطوقة التي تثير إثارة غير مباشرة (مكتوبة). وليست اللغة المنطوقة من هذا النوع لغة تلقائية. وإذا تصورنا أن النصوص المسرحية نصوص شفهية خالصة، وهو تصور مشكوك في صحته[1]، فإن المقارنة بين التصور الشفهي والتحقق الشفهي الفعلي تكشف عن فقدان جانب من المشافهة الحقيقية أو

(1) وذلك أن وجود نص أدبي مكتوب صاحبه واحد وموجه للخطاب – وفقًا لاعتبارات فنية مقصودة – يلغي صفات التلقائية الحقيقية والتميز الأسلوبي الفردي الحقيقي. وهي صفات ترتبط باعتبارات عدة تخص المتكلم في اللغة المنطوقة الحقيقية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأصلية urspruengliche Oralitaet نلحظه في شفرة الكتابة code graphique.

وقد حاول سول ترتيب أنماط القول الخمسة التي عرضنا لها الآن وفقًا لتدرج السمات: "مباشر" و"تبادلي" و"قريب" (=مرئي) ترتيبًا تدريجيًا على هذا النحو (الشكل ١٤):

	١	٢	٣	٤	٥
(صوتيًا)	الشفرة الصوتية				
"مباشر"	مشافهة مباشرة (شفرة منطوقة)				
"تبادلي"	مشافهة تبادلية				
"قريب"	النمط الأصلي للمشافهة (١)				

الشكل (١٤)

ويتضح لنا من هذا الترتيب التدريجي الذي اقترحه سول أن الشفرة الصوتية تغطي الأنماط جميعها على نحو لغوي اعتيادي، باستثناء النمط الخامس (المسرحية التلفزيونية) الذي تتدخل فيه عوامل صوتية غير لغوية وعوامل أخرى تتعلق بالإخراج بوجه عام. إنه إذن ليس نمطًا لغويًا محضًا. وقد رمز إلى ذلك بالنقاط الرأسية.

من ناحية أخرى، فإن الشفرة المنطوقة تتسع حتى تضم الأنماط الثلاثة الأولى؛ أي المحادثة المعتادة، والمحادثة عبر وسيط (كالتليفون أو جهاز الراديو والتلفزيون). هذه الأنماط من المحادثة هي – في نهاية الأمر – ضروب من المشافهة التلقائية المباشرة. أما المشافهة التبادلية؛ أي التي يتبادل فيها جانبان الحوار، فتنحصر في النمطين: الأول والثاني؛ ذلك أن النمط الثالث لا يكون تبادليًا بالمفهوم الحقيقي للتبادل؛ لأنه يصدر من متكلم إلى مستمع أو مشاهد عبر وسيط، فالذي ينتج عن العملية

(1) Soell, op. cit., S. S. 46-47

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التبليغية هو نوع من الاستجابة (الإصغاء، القبول، الرفض، ...الخ) وليس نوعًا من المشاركة الفعلية الحقيقية في الحديث.

فإذا ما وصلنا إلى النمط الأول، كانت المشافهة الحقيقية، أو المشافهة بمفهومها الأصلي؛ لأنها تنتج عن محادثة عن قرب.

ويشترط هوجو ستيجر Hugo Steger لإدخال نص ما في إطار اللغة المنطوقة الخالصة شرطين اثنين رئيسين:

أولهما: ألا تكون هذه اللغة مكتوبة أو مدونة من قبل.

والآخر: ألا تكون مستخدمة في حديث بعينه بعد إعداد طويل[1].

ويلاحظ، من ناحية، أن هذين الشرطين يؤكدان عدم الإعداد والقصدية في اللغة المنطوقة. كما ينبغي، من ناحية أخرى، الإشارة إلى أن هذين الشرطين قد اتفق عليهما – بوجه عام – في بحوث اللغة المنطوقة، يقول هانز إيجرز Hans Eggers مثلاً:

"إن من يقرأ نصًا مكتوبًا معدًا قراءة حرفية، أو ينشد شعرًا، يبقى نطقه – بالطبع – محصورًا في نطاق اللغة المكتوبة"[2].

ونسوق الآن مثالاً يبين لنا الحدود الفاصلة بين الشفرتين في ضوء الشرط الأول الذي اشترطه ستيجر، وهو شرط مهم؛ فنشرة الأخبار الإذاعية أو التلفزيونية تبدو – كما نعرف – في هيئة نصوص ملفوظة، تعد احتذاء بمواصفات اللغة المنطوقة. ويقود التزامن في الأداء بين حالة التلفظ وحالة الاستماع إلى استخدام نماذج مبسطة من الجمل، وإلى تكوين الجمل السريعة التي يمكن فهمها، وإلى التخفف من علامات الإعراب بالتسكين حتى فيما ينبغي له أن يكون موصولاً، وإلى البناء النصي غير المعقد. ولا تحتاج لغة الصحافة إلى مراعاة ذلك بالضرورة؛ فالنطق الشفهي لنص إخباري (إذاعي أو تلفزيوني) معد يدخل في الشفرة المكتوبة؛ لأنه قد دون من قبل. وعند صياغة خبر صحفي في نص إخباري

---

(1) Soell. Lp. Cit., S. 48

(2) Eggers, Hans, Zur Syntax der deutschen Sprache der Gegnwart, in Studium generale 15, (1962) SS. 49-59, S. 50

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(إذاعي أو تلفزيوني) يتضح لنا الاقتراب من الشفرة المنطوقة والاستمساك بالشفرة المكتوبة في الوقت نفسه على النحو التالي:

النص الإخباري الصحفي:

(يشهد... رئيس مجلس الوزراء وعدد من الوزراء حفل تسليم مركز القاهرة الدولي للمؤتمرات رسميًا إلى هيئة المؤتمرات الدولية. ويلقي كل من الفريق... وزير الدفاع كلمة في الاحتفال وكذلك دكتور... وزير شئون مجلس الوزراء و... وزير السياحة، و... وزير الإنتاج الحربي ودكتور... وزير الاقتصاد ودكتور... وزير التعاون الدولي ودكتور... محافظ القاهرة. وسيتم تبادل وثائق التسلم التي وقع عليها وزير التعاون الدولي مع حكومة الصين. وسيسلمها بدوره للهيئة العامة للمؤتمرات برئاسة... وزير السياحة، حيث يتم تسليم المركز رسميًا للهيئة التي صدر قرار جمهوري بإنشائها.

ويتخلل الاحتفال عروض موسيقية تقدمها الفرقة العسكرية بالزي الفرعوني في موكب كبير.

مركز القاهرة الدولي للمؤتمرات من أحدث المراكز في العالم وتكلف ٣٠٠ مليون جنيه بتمويل من الصين بقرض ميسر بفائدة بسيطة على مدى طويل. وأقيم المركز على مساحة ٧٠ فدانًا، واستغرق بناؤه حوالي ٣ سنوات.

المركز يستقبل اجتماع وزراء الخارجية بالدول الإسلامية نهاية الشهر الحالي، كما يعقد به المؤتمر الدولي لاتحاد شركات السياحة (الأوفتا) في نهاية سبتمبر وكذلك مؤتمر منظمة (الإستا) اتحاد شركات السياحة الأمريكية عام ١٩٩٢م. وقد تم تعيين اللواء مهندس... نائبًا لرئيس الهيئة ورئيسًا للجهاز التنفيذي).

النص الإخباري التلفزيوني:

(تم اليوم تسليم مركز القاهرة الدولي للمؤتمرات إلى الهيئة العامة لمراكز المؤتمرات برئاسة السيد... وزير السياحة والطيران المدني الذي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقع خطة التسليم مع الدكتور... وزير الدولة للتعاون الدولي واللواء... مساعد وزير الدفاع والإنتاج الحربي نائبًا عن القائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع والإنتاج الحربي. وقد أقيم بهذه المناسبة احتفال كبير شهده دكتور... نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية والدكتور... محافظ القاهرة.

ألقى وزير السياحة كلمة أعلن فيها ترحيبه والمركز الدولي للمؤتمرات باستضافة المؤتمرات الدولية بالمركز، كما أشاد بدور جمهورية الصين الشعبية بإقامة وتشييد هذا الصرح العظيم. أشاد أيضًا بدور القوات المسلحة في إقامة هذا المركز وقدرتها على البذل والعطاء في السلم والحرب. وألقى اللواء... كلمة وجه فيها الشكر إلى جميع أجهزة الدولة وتعاونها مع القوات المسلحة ودور جمهورية الصين الشعبية في إنجاز هذا المركز الذي يعد نموذجًا للتعاون الدولي بين الشعوب. وقدم اللواء مهندس... نائب رئيس المركز تقريرًا عن المركز وإمكاناته لإقامة سياحة المؤتمرات وعقد الاجتماعات والمجالس القومية المحلية وتشجيع عقدها في مصر.

تقودنا المقارنة بين النصين السابقين إلى الملحوظات التالية:

(١) اختلف زمن الفعل بين النصين، باعتبار النص المكتوب في الصحيفة إخبارًا بما لم يتم حدوثه بعد، بينما اعتادت نشرة الأخبار: الإذاعية والتلفزيونية الإخبار عما حدث بالفعل. ومن هنا اختلفت المعلومات شيئًا ما بين النصين، ومثال ذلك أن رئيس الوزراء لم يكن – في النص الإخباري التلفزيوني – ممن شهد حفل التسليم، كما جاء في النص الإخباري الصحفي!.

(٢) تميزت البنية اللغوية في كلا النصين بالبساطة وتكوين الجمل السريعة، بيد أن هذه السمات في النص الإخباري التلفزيوني أكثر ظهورًا نسبيًا، ويرتبط ذلك بالتزامن في الأداء بين حالة التلفظ وحالة الاستماع.

لممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٣) يتشابه النصان إلى حد كبير جدًا في استخدام الروابط وحروف العطف، فإذا كان النص الأول قد استخدم منها (كما) و(كذلك) في جملتين متعاقبتين، فإن النص الثاني قد استخدم (كما) و(أيضًا) في جملتين متعاقبتين كذلك.

على أية حال، فإن الذي يعنينا هنا هو أن النص الإخباري: الإذاعي أو التلفزيوني، لا يعد نصًا شفهيًا. وليست أوجه التشابه بينه وبين النص الإخباري الصحفي إلا دليلاً على دخوله في النصوص المكتوبة. إن النص الإخباري: الإذاعي أو التلفزيوني ليس نصًا شفهيًا؛ لأنه قد كتب على نحو خاص؛ فهو أسلوب مبسط من أساليب الكتابة. لقد انتفت سمة المشافهة في النص الإخباري التلفزيوني للأسباب التالية:

(١) أن هذا النص ليس تلقائيًا، ولكنه نص معد. ومن أجل ذلك خلا من أية علامات على التردد أو اللجاجة أو الوقفات اللافتة للنظر، فمثل هذه العلامات لا نتوقع دخولها في مثل هذا النص؛ لأنها سوف تكون - إذ ذاك - علامات مستهجنة.

(٢) لا يشتمل هذا النص على أخطاء لغوية مما قد يقع في اللغة المنطوقة، ولا يشتمل على علامات مميزة لعملية المشافهة (مثل: حسنًا، إذن، ونحوهما) ولا على وسائل لغوية تعبيرية (نحو تقطيع الجمل أو تجزئتها أو عناصر لغوية محذوفة أو جمل ناقصة).

ومن أجل ذلك كله، فهو نص تتميز بنيته بالسلاسة والتماسك.

(٣) يشتمل هذا النص على وسائل لغوية ملفوظة ورقيًا؛ أي ما نعهده مكتوبًا على الورق، نحو: شهد هذا الاحتفال - ألقى كلمة - تشييد هذا الصرح العظيم... الخ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث التاسع

الشفرة المنطوقة والشفرة المكتوبة : نمط الإنتاج

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشفرة المنطوقة والشفرة المكتوبة: نمط الإنتاج

تستقل كل من هاتين الشفرتين إلى حد بعيد بمواضعات ومتطلبات وظروف تمايز بين إحداهما والأخرى من حيث نمط الإنتاج Manner of Production. ويؤدي الاختلاف بينهما في نمط الإنتاج إلى اختلافات بنائية نراها في المبحث القادم. ولدينا عدة وجوه للمقارنة بين الشفرتين من حيث نمط الإنتاج، نكشف عنها فيما يلي:

١- لعل أول وجوه المقارنة تتجلى في أن اللغة المنطوقة تستخدم عادة مصحوبة بتلويحات اليدين Gestik وتعبيرات الوجه Mimik. فهذا التفاعل بين حركات الجسم وإشاراته وبين التعبير، مما لا يجوز إغفاله؛ لأنه يؤثر في عملية التفاهم تأثيرًا واضحًا. ولا ينبغي – كما يقول رونالد إيلوار – أن نستخدم مقولة (التعبير الجسدي) جزافًا ودونما تحفظ؛ إذ لا يكون الجسم معبرًا بحركاته وسكناته إلا على قدر ما يتسنى للكلام أن يفصح بذاته عن معاني هذه الحركات والسكنات[1]، أو بعبارة أخرى: لا يكون الجسم معبّرًا بحركاته وسكناته إلا على قدر ما يكون لهذه الحركات والسكنات من دور في توجيه المعنى واكتماله.

وقد عنيت السيميائية (Semiotics أو Semiology) بهذه المسألة؛ فأفاضت في شرحها تحت قضية (مساعدات الكلام): فإذا كان الاتصال اللغوي يعتمد على العلامات المنطوقة، فإن الخطاب تصاحبه غالبًا بعض العلامات الموازية مثل: التنغيمات والحركات الإيمائية، والأوضاع الجسمية ونحوها.

الأمر يتعلق إذن بمؤشرات طبيعية وعفوية ذات وظيفة تعبيرية خالصة. ولكن يمكن لبعض من هذه المؤشرات أن تكون لها معانيها الاصطلاحية المجتمعية في نهايات الاتصال: هز الكتفين، ورفع الحاجب وحركة الرأس الأفقية أو العمودية، وتلك علامات تختلف بالاختلاف

---

(1) رونالد إيلوار: مدخل إلى اللسانيات، ترجمة دكتور/ بدر الدين القاسم، منشورات وزارة التعليم العالي، الجمهورية العربية السورية (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) ص٣٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بين الثقافات والمجتمعات، فاليونانيون يحركون الرأس من أسفل إلى أعلى علامة على النفي[1].

ومن ناحية أخرى، جعلت لبحث السلوك الحركي Kinesics فرعًا خاصًا من فروعها هو (التشخيصية)، وهو فرع لا يعني بدراسة الإيماءات والحركات الجسدية فحسب، وإنما يعني كذلك بأثر التبدلات الصوتية أو ما يعرف بالمؤثرات الصوتية النوعية voice quality effects، مثل: أنظمة الوقف، والتنغيم، ونمط النبر، ونغمة الصوت، وشدة الصوت أو طبقته، والإيقاع، ودرجة سرعة الصوت، ونحو ذلك مما يؤثر تأثيرًا قويًا في تحديد المعاني الوظيفية والمعجمية معًا. ويستطيع الأداء التمثيلي المعبّر في مشهد مسرحي مثلاً أن يزودنا بأمثلة حية على ذلك.

وتتضافر المؤثرات الصوتية مع الإيماءات والحركات أثناء الكلام. ويضرب براون / بول مثالاً على ذلك بالعبارة التالية: I'd really like to، فإذا نطقها المتكلم مائلاً إلى الأمام، مبتسمًا، في صوت حاد أو شاهق (من الشهيق)، أفادت معنى مغايرًا لما يقصده متكلم آخر ينأى بجانبه، مقطب الجبين، في صوت هازئ من الأنف[2].

هذه المسألة – في الحدود التي نرتضيها هنا – أظهر من أن نخوض في التمثيل عليها. ويكفينا مثالاً على ذلك من العربية عبارة نحو: وهذه صفارة الحكم (في نهاية مباراة بين فريقنا وفريق أجنبي). فقد تدل العبارة لمن سمعها ولم يشهد المباراة أو يعرف النتيجة، على فرحة انتصار فريقنا، إذا صدرت عن المتكلم مائلاً إلى الأمام، ملوحًا بيده، مبتسمًا، وفي نوعية صوتية حادة أو صارخة. بينما تفيد العبارة ذاتها معنى الهزيمة إذا بدا المتكلم مقطب الجبين، وإذا نطقت في طبقة صوتية ضعيفة وإيقاع بطئ محبط. لا يصحّ إذن أن نهمل أثر السمات الخارجة عن اللغة أو المكونات غير اللغوية في إنتاج الشفرة المنطوقة.

---

(1) بيار غيرو: السيمياء، مرجع سابق، ص٦٦-٦٧

(2) Brown / Yule, op. cit., p. 4

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذا كانت حركات اليدين وتعبيرات الوجه والتبدلات الصوتية مرتبطة بالموقف situation، فإن ذلك يبين - من ناحة أخرى- أن الشفرة المكتوبة لا تملك إلا أن تعيد الموقف لغويًا وعلى نحو غير مباشر. وعند نقل اللغة المكتوبة إلى صورة صوتية تبدو الاستعانة بحركات اليدين وتعبيرات الوجه أدوات للتفسير، وليست نابعة من الحدث الكتابي نفسه أو تابعة له[1].

٢- لا يتحكم المتكلم وحده في إنتاج الأنظمة التبليغية communicative systems التي تختلف بدورها عن الأنظمة التي يتحكم فيها الكاتب؛ فالمتكلم يتدرج بمنتجه اللغوي في ظروف تقتضي متطلبات كثيرة. وينبغي للمتكلم أن ينتبه تمامًا إلى ما يقوله وأن يجعله مناسبًا ومطابقًا لمقاصده. إنه ينطق بعبارته الجارية على لسانه في الوقت نفسه الذي يخطط فيه لما يأتي من منطوقات. إنه لا يبقى محتفظًا بما قاله من قبل. وفي بعض الأحيان الاستثنائية يكون هنالك ما يذكره بما يريد قوله بعد ذلك.

على العكس مما سبق، يستطيع الكاتب أن ينظر فيما كتب، كما يمكنه أن يتوقف بين كلمة وأخرى دون أن يخشى مقاطعة محدثه، وينال حقه في اختيار مفرداته، وربما استعان بالمعجم إن اقتضى الأمر، وله أن يفحص ما وصل إليه في ضوء ملحوظاته، وله أيضًا أن يعيد تنظيم ما كتب، بل ربما بدل رأيه فيما يود قوله.

وبينما قد يُحجِم المتكلم عن الكلام تحت وطأة ظروف بعينها، فإن الكاتب لا يخضع لضغط مثل هذه الظروف. كذلك، فإن المتكلم يدرك أن الكلمات التي تنطلق من شفتيه سوف يسمعها محدثه، ولذلك يصلح من كلامه إصلاحًا نشطًا شاملاً. أما الكاتب، فإن لديه الفرصة لأن يشطب ما كتب ويعيد كتابته[2]. وغني عن البيان أن ما نجريه على

---

(1) Soell, .p. cit., S. 21
(2) Brown / Yule, op. cit., p. 5

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اللغة المنطوقة من إصلاحات أو تصويبات يبقى مسموعًا؛ فاللغة المنطوقة لا تمحى ولا تكشط. ووقوع الخطأ عند الانطلاق بالحديث أمر وارد في اللغة المنطوقة، وإن كان من الأحرى ألا نعده خطأ بالمعنى المألوف للخطأ؛ فإن ذلك يعد – في الواقع – سمة مميزة للغة المنطوقة[1].

٣- إن الوقت الذي يستغرقه إنتاج اللغة المكتوبة (عند كل من المرسل والمتلقي) أطول مما يستغرقه إنتاج اللغة المنطوقة. ويرتبط هذا العامل ارتباطًا غير مباشر بإمكانية التصويب التي تحدثنا عنها منذ قليل.

إن تباين اللغتين في مدة الإنتاج، يرتبط بما تعرفه اللغة المنطوقة من ضآلة التعقيد، وضآلة التنويع كذلك؛ فأشكال الأنساق اللغوية في اللغة المنطوقة أقل بوجه عام مما تنتجه اللغة المكتوبة. ويعني ذلك أن الخطاب الشفهي يستخدم قدرًا ضئيلاً من الإمكانيات الاستبدالية (أو الرأسية) في اللغة paradigmatische Moeglichkeiten[2]. وهي الإمكانيات التي ترتبط بأنساق المفردات وصيغها وتصاريفها وإيثار بعضها على بعض.

لقد بحثنا من قبل عامل الإعداد، ورأينا أنه في الشفرة المكتوبة أقوى منه في الأقوال الشفهية المنطوقة. ولهذا العامل تأثيره المباشر في درجة التعقيد والتنظيم بين الشفرتين. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الشفرة المنطوقة تعرف إمكانيات خاصة تستعيض بها عن التعقيد؛ كالتبدلات والمؤثرات الصوتية، وإشارة اليدين، وتعبيرات الوجه. وهي إمكانيات تقوي أثر الشفرة المنطوقة في العملية التبليغية من ناحية، وتهبط بدرجة التعقيد النحوي والدلالي فيها من ناحية أخرى. أما تقويتها أثر الشفرة المنطوقة فى العملية التبليغية، فيمكن أن نجد لذلك مثلاً فى نحو قولنا: اخرج! (من حيث هو فعل كلامى إنجازى أمرى توجيهى) وقد صاحبته إشارة مناسبة باليد تعزيزا لقوة الأمر بالخروج (وفى ذلك بالطبع جمع بين

---

(1) Soell, po. cit., S. 21
(2) Soell, lp. Cit., S. 22

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قناتى الاتصال السمعية والبصرية). وأما هبوطها بدرجة التعقيد النحوى والدلالى، فهو ما نجده مثلاً فى مصاحبة تعبيرات الوجه والعينين عن الغضب فى نحو قولنا: "هذا ما أراه" فى مقابل: "أنا غاضب مما قيل، وهذا ما أراه!" ونحوه.

٤- ترتبط مسألة اختلاف الشفرتين في المدة الزمنية التي تستغرقها إحداهما في الإنتاج بمسألة أخرى، هي ميل الشفرة المنطوقة إلى تبسيط نسبي في الإنتاج. ويرتبط هذا التبسيط بسمات لغوية عدة، من أهمها: البتر، والاقتصاد، والحذف، واستثمار ما يسميه هـ. تسيمرمان H. Zimmermann بـ (الفكر الضمني unausgesprochenes Denken)؛ أي الفكر الذي لا يتلفظ به[1]. ويعرف إنتاج الشفرة المكتوبة هذه السمات أحيانًا، ولكنها في الشفرة المنطوقة أقوى أثرًا وأكثر شيوعًا؛ فهي من طبائعها الأولية. وينبغي في حديثنا عن التبسيط أن نميز بين التبسيط الاستبدالي (الرأسي) والتبسيط التركيبي (الأفقي)؛ ففي العربية نرى من وجوه التبسيط الاستبدالي في الشفرة المنطوقة، استبدال المفردات ذات الأوزان المزيدة بنظائرها المجردة، وإيثار المفردات السهلة الشائعة الجارية على الألسنة. ومن وجوه التبسيط التركيبي: الجمل البسيطة المتوالية التي تسود الحديث الشفهي، وتضاؤل الجمل التي تسمح للملكتين اللسانية والتواصلية بالظهور الحر، وكثرة تضمين بعض الحروف معنى بعض، حتى وإن كان نظام اللغة المعيارية لا يجيز مثل هذا التضمين. وربما وجدنا من وجوه التبسيط التركيبي كذلك التقديم والتأخير الذي يعكس تأثرًا بعادات لغوية خاصة باللغة الدارجة، مثل، جنيت ماذا من غضبك؟ أو ما يمكن أن نسميه بالاستفهام المقلوب مثل: جنيت من غضبك ماذا؟. إن مثل هذه الأساليب مما يبدو مصوغًا على مثال قولنا في اللغة الدارجة: جنيت إيه من غضبك؟ أو على مثال: جنيت

---

(1) Zimmermann, Heinz, Zu einer Typologie des spontanen Gespraechs, syntaktische Studien zur basel – deutschen Umgangssprache, Bern (1965) SS. 53-59

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من غضبك إيه؟، وهي صيغ معروفة وشائعة فيها. وقد سبق أن لاحظ هانز إجرز Hans Eggers أن انتشار بعض التراكيب والجمل ذات السمات الخاصة في لغة الكتابة المعاصرة بتأثير اللغة الدارجة (اللغة المنطوقة) شئ معروف، على نحو ما نجد في الجمل المبتورة والناقصة[1].

ويؤكد التبسيط في إنتاج الشفرة المنطوقة وما له من وسائل تؤدي إليه كالاختصار، والاختزال، والحذف ونحوها، يؤكد دور الموقف التبليغي والاجتماعي في العملية التبليغية؛ ففي اللغة المنطوقة يساعد الموقف على فهم المحذوف أو المختزل. وكما يقول جان كوهين Jean Cohen، فإن المتكلم حرصًا على الاقتصاد يلغي المعلومات التي يعلم أن محدثه يستطيع أن يستخلصها من الموقف. والقصيدة – مثالاً على اللغة المكتوبة – تفعل الشئ نفسه، مع فارق واحد هو أن الموقف لا وجود له. ومن هنا فإن كل الكلمات التي صنعت لكي تحدد، تصبح عاجزة عن أن تملأ وظائفها؛ فهي تعين دون أن تعني، وتصبح بذلك كلمات إشارية[2]. إن الكلمات بالنسبة للغة المنطوقة تؤدي وظائفها داخل الموقف باعتبارها "فهارس" على حد تعبير بيرس، وهي تصاحب الإيحاءات والإشارات التي تزود بالمراجع، وفي داخل اللغة المكتوبة تقود الكلمات إلى شئ تم حدوثه من قبل الرسالة ذاتها، ولكنها في داخل القصيدة تفقد هذا وذاك.

ويمكن أن يقال الشئ نفسه عن الأزمنة الفعلية، فكلها تعتمد على القياس إلى الحاضر كوسيلة توضيحية (هكذا في الأصل والصواب

---

(1) Eggers, Hans, Deutsche Gegenwartssprache in Wandel der Gesellschaft, in: Sprache, Gegenwart und Geschichte (Sprache der Gegenwart Bd. V hrsg. Von H. Moser) Duesseldorf (1969) SS. 9-29, S. 10

(2) أي كلمات تستخدم استخدامًا نمطيًا لتشير إلى المفاهيم المرتبطة بالعلامة اللغوية وتحدد كفاءتها الدلالية في النظام اللغوي. وتختلف وظيفة العلامة في هذه الحال عن وظيفتها فيما يعرف بـ (الاستخدام الراهن أو الفعلي actual usage) المرتبط بسياق الحدث اللغوي (أو الفعل الكلامي) في وقت بعينه وموقف بذاته.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حذف الكاف والنصب على الحال)، وفي اللغة المنطوقة يكون الحاضر مؤرخًا من خلال الموقف، وفي اللغة المكتوبة من خلال السياق[1].

ومهما يكن من أمر، فإنني أحسب أننا قد وصلنا هنا إلى مسألة مهمة جدًا، وهي التفريق بين السياق والموقف من ناحية، وارتباط اللغة المكتوبة بالسياق واللغة المنطوقة بالموقف من ناحية أخرى. وقد دعا اللغويين إلى الخوض في التمييز بين هذين الاصطلاحين وبيان وظائفهما في الكلام ما لاحظوه وصار ثابتًا في أكثر مراجع علم اللغة (لاسيما في اللغويات التداولية) من أن ما يفهم من الحدث اللغوي أكثر من المقول بالفعل. ولعل من خير التمييزات التي نراها في بحث هذين الاصطلاحيين ما نجده عند أوجينيو كوزيريو Eugenio Coseriu؛ فالسياق Kontext يعني المحيط اللغوي الخالص للعلامة في النص؛ أي المقول من قبل وما يقال بعد ذلك. أما الموقف Situation فيعني المحيط غير اللغوي للعلامة أو السلسلة من العلامات، بما فيه من ظروف وملابسات تصاحب الحدث اللغوي، فضلاً عن معلومات يتجاوزها المتكلم والمستمع إذا كانت معلومة بينهما.

ويضيف بعض المنظرين اللغويين إلى العاملين السابقين عاملاً ثالثًا؛ هو ما يعرف باسم (عالم الخطاب Universum der Rede) (universe of discourse=) وهو مفهوم يضم – إلى جانب ما سبق – أشياء متمايزة، يقدمها كوزيريو في الشكل التالي (الشكل ١٥):

محيط الكلام

١- الموقف:

غير مباشر

مباشر

---

(1) جان كوهين: بناء لغة الشعر، ترجمة د/ أحمد درويش، مكتبة الزهراء، بدون تاريخ، ص١٨٤-١٨٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- المنطقة:

المكان

المجال

البيئة

٣- السياق:

(أ) سياق لغة مفردة

(ب) سياق الخطاب

	غير مباشر	مباشر
إيجابي		
سلبي		

(ج) السياق غير اللغوي:

١- السياق الفيزيقي

٢- السياق الإمبيريقي

٣- السياق الطبيعي

٤- السياق العملي

٥- السياق التاريخي

٦- السياق الحضاري

	عام	خاص
حاضر		
ماض		

٤- عالم الخطاب:

ويعني أوجينيو كوزيريو بالموقف شيئًا خاصًا جدًا؛ إنه يتعلق بالظروف والملابسات والعلاقات في الزمان والمكان، تلك التي تنشأ من خلال الكلام ذاته؛ أي من خلال حقيقة مؤداها أن شخصًا ما يتحدث مع شخص آخر في حيز بعينه من المكان وفي لحظة بعينها من الزمان عن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شئ ما. الموقف إذن هو المحيط الذي يضمني وإياك هنا وهناك، الآن وذات مرة.

ويغني حديثنا السابق تناول عن المنطقة وعناصرها مرة أخرى. أما السياق، فيعني به الحقيقة الكلية المحيطة بالعلامة. ويمكن أن تكون هذه الحقيقة مستمدة من العلامة، أو من شئ آخر ليس بعلامة. أما عالم الخطاب فيعني به نظام عالم الدلالات الذي ينتمي إليه النص، والذي يحصل النص من خلاله على شرعيته وفعاليته ومعناه الخاص.

ونصل الآن إلى التمييز بين مكونات كل مقولة من المقولات السابقة. يميز داخل الموقف بين موقف غير مباشر وموقف مباشر. يبنى الموقف غير المباشر من الظروف والأحوال الزمانية والمكانية الفعلية، التي تنشأ هي ذاتها من الحدث اللغوي. إن الموقف غير المباشر يوجد، عندما أقول أنا (باعتباري متكلمًا) هنا والآن شيئًا ما في مكان الكلام وزمانه. أما الموقف المباشر، فوجوده رهين تحول نقطة الكلام إلى الخارج: فأنا لست أنا، وإنما أنا راو لـ: أنا. وهنا ليست هنا، وإنما هنا هي هنا الأشياء والوقائع التي يخبر عنها؛ أى الوقائع التي لها آنيتها التي تخصها، والتي لا تتداخل في آنية الحدث اللغوي المجرد.

أما السياق، فإنه يضم ثلاثة أنواع مختلفة، هي:

١- سياق لغة مفردة: وهو عند أوجينيو كوزيريو اللغة ذاتها التي نتكلم بها؛ فجميع العلامات المستخدمة في حدث لغوي والتي تنتمي إلى لغة بعينها تدخل في علاقة غياب in absentia مع عناصر علامية أخرى من اللغة نفسها.

٢- سياق الخطاب: وهو النص ذاته باعتباره المحيط Umfeld الذي يتسع لكل جزء من أجزائه.

٣- السياق غير الخطابي: وهو السياق الذي يتشكل من جميع الظروف والملابسات غير اللغوية التي يعيها المتكلم وعيًا مباشرًا أو التي يعرفها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذان النوعان الأخيران من السياق، لهما أهمية خاصة لفهم نشأة المعنى في النص. وإذا صرفنا الكلام إلى سياق الخطاب لاحظنا أنه لا تصنعه القطعة النصية فحسب، وإنما يدخل في صناعته أيضًا كل ما يتبع هذه القطعة وينتج عنها من ردود الأفعال: فكثيرًا ما يقال بأن ما قيل بالفعل هو الذي يمثل لنا سياق العلامات في النص. والحقيقة أن ما يمكن قوله بعد انتهاء المقول بالفعل ينتمي إلى سياق العلامات في النص كذلك؛ فقد يتعدل فهمنا للعلامات تعديلاً جذريًا في موضوع ما في النص، ولا نصل إلى هذا الفهم الصحيح أو المعدل إلا مع قراءتنا النص حتى نهايته.

أما سياق الخطاب الإيجابي، فيعني أن المعتاد هو وجود سياق إيجابي فقط. ولكن يبدو – كما يقول كوزيريو – أن ما لم يقل وخلا مكانه ينبغي أن يؤخذ كذلك في الحسبان. وهناك وظائف نصية كثيرة ترجع إلى أشياء لم يصرح بها النص أو لم تقل صراحة ولكن أشير إليها على نحو أو آخر. إن الأحداث اللغوية كالرمز، والتلميح، ونحوهما توظف غالبًا على أساس المواضع الفارغة، أو الفراغات المتروكة في النص، التي يعتبرها مفسرو النصوص معروفة قبل المقول بالفعل، باعتبارها أشياء يسكت عنها المرء. ويمكن أن يكون السكوت عن هذه الأشياء سكوتًا رمزيًا، بمعنى أن الشئ الذي لم يقل، يمكنه أن يكون له معنى خاص.

ويعرف السياق الخارج عن النص، بأنه السياق الذي يتعلق بجميع الظروف التي ليست داخلة في عدد العلامات في مقابل المستوى الأول من التحليل؛ لأن الأشياء يمكن من آن لآخر أن توظف توظيفًا رمزيًا وأن تصبح علامات من الدرجة الثانية.

ويشتمل السياق الخارج عن إطار اللغة (= السياق غير اللغوي) على السياق غير اللغوي الفيزيقي، وهو الذي يبنى من الأشياء التي تصاحبها العلامات مصاحبة غير مباشرة. ويشتمل كذلك على السياق غير اللغوي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإمبيريقي، الذي يعني الأشياء والموضوعات التي تكون معلومة لدى المشتركين في العملية التبليغية زمن الكلام ومكانه. وقد يتعلق السياق غير اللغوي بالأشياء الظاهرة على نحو غير مباشر، مثال ذلك: عندما أريد أن أكتب شيئًا على السبورة؛ فلست – أول الأمر – محتاجًا إلى أن أحدد السبورة التي يدور حولها الكلام. ويضم كذلك السياق غير اللغوي الطبيعي، وهو يعني العالم الكلي لسياق الكلام المعروف لدينا؛ أي جميع السياقات الإمبيريقة الممكنة، إنه يتعلق بالطبيعة المحيطة بنا، وبما نعرفه عنها بفطرتنا، وبما يفترض أننا نعرفه إلى درجة ما عند الكلام. وهناك أيضًا السياق غير اللغوي العملي، وهو يعني ظرف التكلم؛ أي الغلاف الذاتي أو الموضوعي الذي يكتنف حدث الخطاب redeakt. ومثال هذا النوع من السياق حالة المشتركين في الحديث والظروف المكانية والزمانية الدقيقة للكلام التي تسمح لنا بالتعبير عما نريد تعبيرًا تقديريًا أو إضماريًا elliptisch؛ كأن نقول لشخص أمامنا: "إنه بارد برودة فظيعة"؛ فقد نعني هنا مشروبًا، وقد نعني حالة الجو وقت التكلم. والأمر هنا متروك للسياق غير اللغوي العملي.

أما السياق التاريخي، فهو مجموع الظروف والملابسات التاريخية المعروفة لدى المتكلمين. والوصف بالتاريخي هنا مقابل للوصف بالطبيعي ويمكن أن يكون مدى السياق التاريخي مدى خاصًا أو عامًا، بمعنى أنه يمكن أن يتحدد خلال جماعة صغيرة جدًا كالأسرة، أو القرية. وقد يتسع مداه إلى الأمة أو المجتمع الثقافي أو الإنسانية بأسرها. وفي كلتا الحالتين، يسهم السياق التاريخي في تحديد معنى العلامات المستخدمة في الحدث الخطابي. ومثال ذلك أن أمًا قد تسأل في بيتها: أين أنت الآن ياعلي؟!، ولكنها إذا سألت هذا السؤال في قاعة المحاضرات بالجامعة، فسوف تقابل بقهقهات عالية من الجميع. وقد يكون السياق التاريخي عامًا، وهو – إذ ذاك – يعني المعارف الشائعة؛ كأن تقول مثلاً إننا نعيش في جمهورية ديمقراطية لا في نظام ملكي. ويمكن أن يكون السياق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التاريخي حاضرًا أو ماضيًا؛ فعبارة مثل (يوجد بابا واحد) هي تعبير في سياق تاريخي عام حاضر، لا ماض؛ لأنه على مر الزمان كان هناك باباوات كثر. ومن ناحية أخرى؛ لأن الباب لم يكن في جميع الأزمنة بابًا واحدًا فقط في مكان معين. وفي السنوات الواقعة بين عامي ١٩١٨ و١٩٣٩ كان الناس يتحدثون عن حرب عالمية، ولكن بعد عام ١٩٤٥ بدأوا يتحدثون آليًا عن حرب عالمية أولى وحرب عالمية ثانية.

والسياق الأخير من السياقات غير اللغوية هوالسياق الحضاري، ويعني به كل ما يتعلق بالموروث الحضاري لجماعة بعينها. ويدخل في هذا الموروث الميثولوجيا وجميع الحقائق التي تعرفها الجماعة عن أعمال علمائها وكتابها. ولا يشترط بالضرورة أن يعرف جميع العلماء والكتاب الذين أسهموا في تقديم هذا المعطى الحضاري فردًا فردًا.

ونأتي أخيرًا إلى المحيط الرابع، وهو عالم الخطاب الذي يعني النظام العام للمدلولات الذي ينتمي إليه النص والذي يحصل من خلاله على صلاحيته وشرعية معناه. إن كل صورة من صور تفسير العالم، وكل نوع متماسك تماسكًا خاصًا يعبر عن العالم، يمكنهما تصوير هذا النظام. إن عالم الخطاب يمكن أن يتعلق كذلك بالميثولوجيا، لا باعتبارها من السياق غير اللغوي الحضاري، ولكن باعتبارها نوعًا خاصًا من الكلام يعبر عن اعتبار ما أو زاوية ما من العالم. إن الميثولوجيا والأدب والعلوم والرياضيات؛ أي عالم حياتنا العملية، تمثل جميعها عالم الخطاب، ما دامت موضوعات لحديثنا[1].

ونود الآن أن نصل - بعد هذا العرض للمحيط اللغوي- إلى تحديد الفروق السياقية والموقفية بين الشفرتين: المكتوبة والمنطوقة في النقاط الجوهرية المهمة التالية:

أولاً: أن اللغة المكتوبة لا تقدم المحيطات السابقة جميعها؛ فالسياق غير اللغوي الفيزيقي لا يوجد إلا في اللغة المنطوقة. وكذلك الحال مع

---

(1) Coserin, Eugenio, Textlingusistik, Eine Einfuehrung Gunter Narr Verlag, 2., durchges. Auflage. Tuebingen (1981) SS. 94-100

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السياق الإمبيريقي. أما السياق التاريخي والسياق الطبيعي، فإنهما غير مقتصرين على اللغة المكتوبة.

ثانيًا: من الفروق المهمة بين الشفرتين كذلك أن الشفرة المكتوبة – على العكس من الشفرة المنطوقة – لا تستخدم السياقات غير اللغوية الممكنة جميعها، وإنما تتبنى جانبًا من تلك السياقات من خلال السياق اللغوي (أو سياق الخطاب Rede - Kontext). إن السياقات غير اللغوية تبدو بذاتها – أول الأمر – على نحو جزئي في النص. وربما استخدمت – بعد ذلك – لتساعد في الوصول إلى تحديدات أخرى.

ثالثًا: إذا كانت اللغة المكتوبة لغة سياقية (بما أن السياق مرتبط في جوهره بمادة الخطاب)، فإن اللغة المنطوقة لغة موقفية (بما أن الموقف يتسع لجميع مناحي الكلام وملابساته وظروفه وحالة المتكلمين وتعبيراتهم البدنية واللفظية).

رابعًا: أن أثر السياقات غير اللغوية في اللغة المنطوقة أقوى وأشد وأكثر ظهورًا ومباشرة منه في اللغة المكتوبة. ولعامل النطق والأداء في اللغة المنطوقة أثره الواضح المباشر في خصوبة الجوانب الفونولوجية في سياق الخطاب المنطوق. ومن الطريف أن نشير هنا إلى ما ذكره رومان ياكوبسبون R. Jacobson في مقالته الشهيرة (علم اللغة والشعرية) عن هذا الممثل الذي استطاع أن يؤدي العبارة الروسية القصيرة segodn - ja večerom (مساء اليوم) في نحو أربعين طريقة من الأداء، حتى يمكن أن نجد أمامنا لفهم ما قال نحوًا من أربعين طريقة مختلفة[1].

خامساً: إذا كانت طريقة إنتاج اللغة المكتوبة تتيح للكاتب فرصة التعديل فيما كتب وإعادة كتابته إذا أراد، فإن طريقة إنتاج اللغة المنطوقة تتيح للمتكلم فرصة لملاحظة محاوره. وهي ليست ملاحظة بصرية بسيطة؛ وذلك أنها تساعده على أن يكيف كلامه ليجعله في

---

(1) Jacobson, Roman, Linguistik und Poetik, in J. Ihwe (Hrsg) Literaturwissenshaft und Linguistik, Frankfurt / Main (1972) Bd. I. SS. 99-135, S. 105

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

متناول محاوره وليكون أكثر قبولاً عنده. ونحن نعلم أن الكاتب ليس له إلا أن يتخيّل رد فعل القارئ.

ومن المهم – كما يقول براون / يول – ملاحظة سلوك الأفراد عند اختيارهم الطريقة التي يتعاملون بها في معاملاتهم المالية، سواء أكانت بالمواجهة الشخصية أم بالكتابة. ففي بعض الحالات يفضل أن يكون التعامل تفاعلاً مباشرًا؛ أي وجهًا لوجه، ولكن يفضل في حالات أخرى، ولأسباب مختلفة، أن يكون التعامل في مثل هذه الشئون المالية عن طريق المكاتبة[1].

---

(1) Brown / Yule. op. cit., p. 5

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل العاشر

الشفرة المنطوقة والشرفة المكتوبة

الوظائف اللغوية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشفرة المنطوقة والشفرة المكتوبة: الوظائف اللغوية

يرتبط الحديث عن وظائف اللغة بظاهرة التخاطب. وقد ارتبطت هذه الظاهرة بدورها في علم اللغة الحديث بثلاثة نماذج رئيسة مقترحة للتخاطب أو العملية التبليغية، وهي: نموذج فردينان دوسوسير F.de Saussure، ونموذج كارل بولر Karl Buehler، ونموذج رومان ياكوبسون R. Jacobson، ويمكن أن يبدو نموذج دوسوسير على هذا النحو (الشكل ١٦):

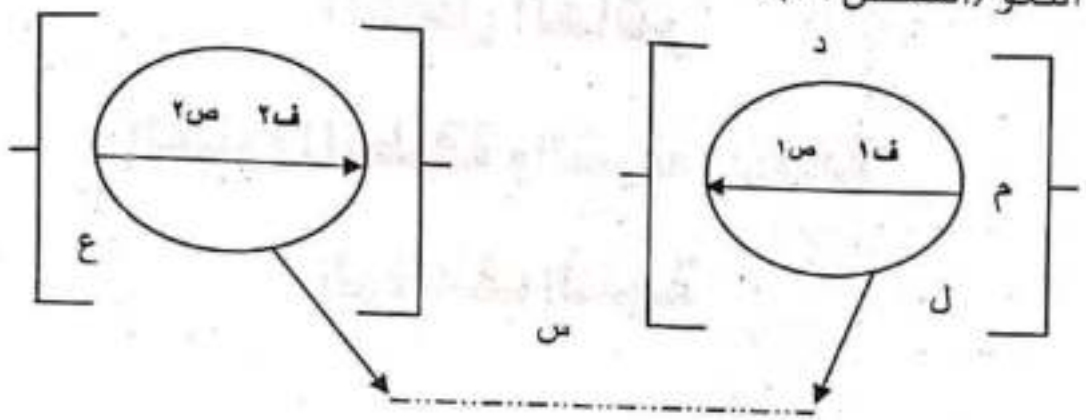

الشكل (١٦)

هذا هو النموذج الذي اقترحه دوسوسير، وهو يعني أن المتكلم في لسان ما:

- يعمد إلى تصور فكري (ف١) ملائم ويرفقه بصورة ذهنية (ص١) للفظة التي تعبر عن ذلك التصور في اللغة المشار إليها.
- ثم يلفظ هذه الكلمة (ل).
- ثم تنتقل اللفظة عبر المسافة (س) الفاصلة بين المرسل والمرسل إليه.
- ثم يتلقاها المستمع أو المرسل إليه (ع).
- ثم يقوم بتأويلها من حيث هي صورة صوتية (ص٢) ملازمة للتصور الذهني (ف٢) الذي تشير إليه.

فإذا كان ١ = ف٢ صح التفاهم بين الرجلين، وبذلك نرى أن عملية التخاطب تتفرع إلى فروع ثلاثة:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- المسافة (س) التي تتعلق بنقل الإعلام وتمثل الجانب الفيزيائي لهذه الظاهرة (وتخضع للقوانين الصوتية وكيفية التواصل).

- الجانب النفسي الفسيولوجي المتمثل باللفظ والاستماع (ل ع)، مثل مخارج الأصوات وآفات السمع.

- وهناك أخيرًا الدائرة (د) التي تضم جانبًا نفسيًا صرفًا، وهو التلازم بين الفكرة والكلمة. في هذا الجزء بخاصة يتحدد موضوع الدراسة اللسانية باعتبار اللسان ظاهرة نفسية جماعية.

ويفترض فى التخاطب حتى يؤدي عمله أن يصل بين شخصين يملكان عددًا مشتركًا من الأفكار والألفاظ[1]. أما نموذج كارل بولر، فهو معروف في اللسانيات الحديثة باسم (نموذج الأورجان عند كارل بولر Karl Buehlers Organon - Modell) وهو يبحث العلاقات الجوهرية بين العلامات اللغوية داخل نموذج تبليغي بسيط. وقد لقي نموذج الأورجان الذي قدمه بولر اهتمامًا ملحوظًا من علم اللغة الحديث، واتخذ منطلقًا لتوضيح وظائف اللغة.

من ناحية أخرى، فقد اتخذ هذا النموذج – في أعمال علم اللغة النصي – منطلقًا لتوضيح بنية الدلالة النصية.

يرى بولر أن العلامة اللغوية ليست في مبدأ الأمر إلا حقيقة مادية (أي أنه ينظر إليها باعتبارها دالاً) تتجاذبها ثلاث علاقات (انظر الشكل ١٧) وهي:

١- المتكلم الذي يفصح عما يريده (= المرسل).

٢- المستمع الذي يستقبل (= المستقبل).

٣- الأشياء والأوضاع المتحدث عنها.

---

(1) رونالد إيلوار: مدخل إلى اللسانيات، مرجع سابق، ص٤٧-٤٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

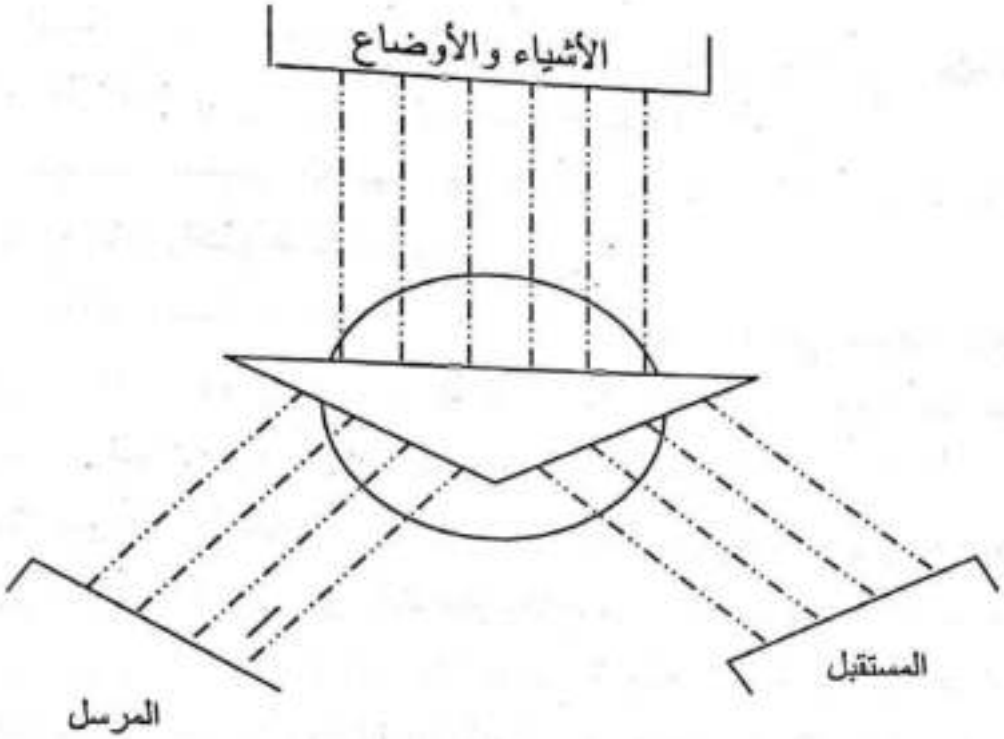

الشكل (١٧)

ويهدف بولر بهذا النموذج إلى تحديد وظائف العلامات في شكل توضيحي. ويحدد بولر وظيفة العلامة اللغوية بأنها ذات أوجه ثلاثة:

- أن تكون رمزًا Symbol على الأشياء والموضوعات.
- وأن تكون مؤشرًا Symptom على تعبير المرسل.
- وأن تكون علامة Signal في وظيفتها الاستدعائية Appell (لاسم أو شئ بعينه) عند المستمع[1].

وقد طور رومان ياكوبسون نموذج بولر. ومع اختلافهما في المصطلحات، فإن ياكوبسون قد ضاعف وظائف اللغة عند بولر؛ أي أنه جعلها ستًا لا ثلاثًا. من ناحية أخرى، جعل ياكوبسون عناصر نموذجه أربعة، هي: المرسل، والمستقبل، والسياق (وهو هنا ليس السياق بمعناه المألوف، وإنما السياق بمعنى الموضوع الذي نتحدث عنه، وهو ما يناظر الأشياء والموضوعات عند بولر) والخبر Nachricht؛ أي التبليغ، ويدخل في ذلك النص نفسه. وقد أضاف ياكوبسون إلى ما سبق عنصر الوسيط

(1) Coseriu, op0. cit., SS. 53-55

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذي يتم فيه التبليغ؛ أي الوسيط السياقي Kontextmedium الذي يجري فيه - بشكل عام- اتصال المرسل والمستقبل أحدهما بالآخر. ولا شك أن هذا الوسيط الاتصالي له أهمية خاصة، عندما لا يكون هناك مجال للتفاهم المباشر؛ كأن يكون من خلال نصوص مكتوبة، أو عبر التليفون، أو نحو ذلك. ويشير ياكوبسون أخيرًا إلى النظام؛ أي اللغة التي هي المفتاح الجامع بين المرسل والمستقبل على وظيفة واحدة، هي فض مكنون الخبر، أو ما يسميه ياكوبسون الشفرة kode.

بناء على ما سبق، تحصل لدينا ست علاقات لا ثلاث، هي التي تكوِّن حدث الخطاب، فيما يرى ياكوبسون. إنها ست وظائف محددة تقوم كل وظيفة منها بمفردها. وهنا تبدو الوظائف التي تحدث عنها بولر في صورة أخرى: فالوظيفة الإخبارية أو التعبيرية Kundgabe عند بولر، تضاهي الوظيفة الانفعالية Emotive عند ياكوبسون. والوظيفة الاستدعائية عند بولر (Appell) Ausloesung تضاهي الوظيفة التبليغية عند ياكوبسون Konative. وما يسميه بولر بالوصف أو العرض Darstellung هو ما يبدو في الشكل التوضيحي الذي قدمه ياكوبسون باسم الوظيفة الإشارية أو المرجعيةreferentielle Funktion. ويقدم ياكوبسون وظيفة أخرى لم يعرفها نموذج بولر، ترتبط بالوسيط التبليغي أو وسيط الاتصال Kontaktmedium ويسميها- متأثرًا في ذلك باصطلاحات العالم الأنثروبولوجي مالينوفسكي Malinowski – وظيفة قبول الاتصال والشروع فيه Kontaktaufnahme ، وتقوم على فحص قناة الاتصال لتحديد مواصفات الاتصال التقنية والفيزيقية والاستعداد النفسي لحدوث هذا الاتصال[1].

ويرى كوزيريو أن الحديث عن هذه الوظيفة الأخيرة أمر وارد، وذلك إذا كان الاتصال اتصالاً غير مباشر وواقعًا عن طريق تقني. ومثال ذلك ما نجده من صيغ في كثير من الجماعات اللغوية تتكرر عند محادثة تليفونية، أو جمل لا معنى لها، أو كلام مكتوب على شاشة تليفزيون... الخ.

---

(1) Coseriu. op. cit., SS. 56-57

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويقدم ياكوبسون وظيفة أخرى، تختص بالشفرة وحدها: هي الحديث بالشفرة. ويسمى ياكوبسون هذه الوظيفة التسمية الشائعة في المصطلح اللغوي؛ وهي وظيفة ما وراء اللغة metasprachliche Funktion. والوظيفة الأخيرة عنده هي الوظيفة الشعرية poetische Funktion، وهي وظيفة تختص بتشكيل الخبر وبلورته. وفيما يلي نموذج ياكوبسون (الشكل١٨):

السياق

وظيفة إشارية

المرسل — الخبر — المستقبل

وظيفة انفعالية — وظيفة شعرية — وظيفة استدعائية

الوسيط التبليغي

وظيفة قبول التبليغ

الشفرة

وظيفة ما وراء اللغة[1]

الشكل (١٨)

ونود – بعد ذلك العرض الموجز السابق لوظائف اللغة في عمومها عند ثلاثة من أكبر اللغويين المحدثين – أن نحدد في النقاط التالية موقف كل من الشفرتين: المكتوبة والمنطوقة من الوظيفة اللغوية ومدى تفاوتهما في أدائها:

أولاً: تساعد عوامل إنتاج الشفرة المكتوبة، كالإعداد، وعامل الوقت، وغياب المواجهة المباشرة ونحوها، على وسم اللغة المكتوبة بسمة عقلية أو منطقية، بينما تساعد عوامل إنتاج الشفرة المنطوقة، وهي

(1) Coseriu, op. cit., S. 58
ووظيفة ما وراء اللغة حالة خاصة، وهي وظيفة تسمية الأشياء في اللغة، ويمكننا أن نتحدث باللغة عن اللغة ذاتها، عن مادتها ومضامينها. فإذا قلنا مثلاً: إن كلمة (بحر) مكونة من أربعة فونيمات (حال الوقف)، فإننا نصف باللغة حقيقة لغوية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عوامل معاكسة، على وسم اللغة المنطوقة – إلى جانب العناصر العقلية أو المنطقية بالطبع – بسمة انفعالية وإرادية. ولا ريب أن هذه مسألة نسبية. والحكم فيها على الغالب.

وتعني الملحوظة السابقة – في إطار رصد وظائف اللغة عند ياكوبسون – غلبة الوظيفة الانفعالية في الشفرة المنطوقة. وتحدد هذه الوظيفة العلاقات بين الرسالة والمرسل.

فالمتكلم هنا أكثر من أي موقف تبليغي آخر، يعبر عن أفكاره ومواقفه إزاء الأشياء والموضوعات والناس الذين يحادثهم. ومن هنا فقد أصاب هاينتز روب Heinz Rupp حين جعل سمة (الذاتية) من أهم السمات الثلاث الجوهرية للغة المنطوقة.

وهي ذاتية؛ لأن اللغة المنطوقة تدور في نطاق المتكلم، بينما تعرف اللغة المكتوبة من قبل المستمع وما تدور حوله من أشياء. وتنطبق مقولة (الذاتية) تمامًا على الديالوج، وهو الصيغة الرئيسة للخطاب الشفهي. ويمكن أن تطلق (الذاتية) على اختصار بعض التعبيرات. ولا ريب أن الاكتمال المنطقي النحوي والصياغة الفكرية ملامح لا تتعارض مع التعبير الانفعالي.

وتبدو (الذاتية) كذلك، في استخدام أدوات لغوية يرتفع معدل تكرارها في الشفرة المنطوقة؛ كإمكانيات التنغيم المتنوعة، وأساليب النداء، والأمر، وتصغير التحقير Pejorativa، والمحسنات Meliorativa، والتحويرات Alterata، وأدوات التقوية Abtoenungspartikeln، وما يسمه هوجو موزر بـ (مفردات الحشو الموضحة المنشطة verdeutlichende und belebende Flickwoerter)، التي تعرفها اللهجة الدارجة ولغة الحياة اليومية (نحو: إذن، فعلاً، حسنًا، حقًا، نعم ...الخ).

وتفترض أدوات التوكيد والتحقيق المواجهة الحقيقية بين المتكلم والمستمع في موقف تبليغي حقيقي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهذه الأدوات رهينة باشتراكهما في الكلام، وهي علامة على اتصال أحدهما بالآخر[1].

ونلاحظ هنا أن استخدام المتكلم مفردات الحشو والتوكيد يرتبط – إلى حد بعيد – برد فعل المستمع على كلامه، مما يبرز الوظيفة الأمرية في الشفرة المنطوقة.

وتحدد هذه الوظيفة العلاقات بين الرسالة والمتلقي؛ لأن لكل اتصال غايته في الحصول على رد فعل من هذا المتلقي.

ثانيًا: إن غلبة الانفعالية والذاتية على اللغة المنطوقة تعني – في إطار رصد كارل بولر لوظائف اللغة – أن الوظيفة التعبيرية Ausdrucksfunktion (التي تحدد العلاقات بين الرسالة والمرسل إليه) تلعبان في تلك اللغة دورًا أكبر نسبيًا مما تلعبه في نظيرتها المكتوبة، بينما تتغلب الوظيفة الوصفية أو العرضية (بفتح العين وسكون الراء) نسبيًا في اللغة المكتوبة.

ويمكن مضاهاة الوظيفة العرضية عند بولر بالوظيفة المرجعية عند ياكوبسون؛ فكلتاهما تحدد العلاقات بين الرسالة والموضوع الذي ترجع أو تحيل إليه.

فالمسألة الأساسية تكمن – كما يقول غيرو – في صياغة معلومة صحيحة عن المرجع، تكون موضوعية ويمكن ملاحظتها والتأكد من صحتها[2].

ولذلك جعلت هذه الوظيفة وظيفة معرفية وموضوعية.

ويمكننا بيان ما سبق بالشكل التالي:

---

(1) Soell, op. cit., SS. 60-62

(2) بيار غيرو: السيمياء، مرجع سابق، ص١٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

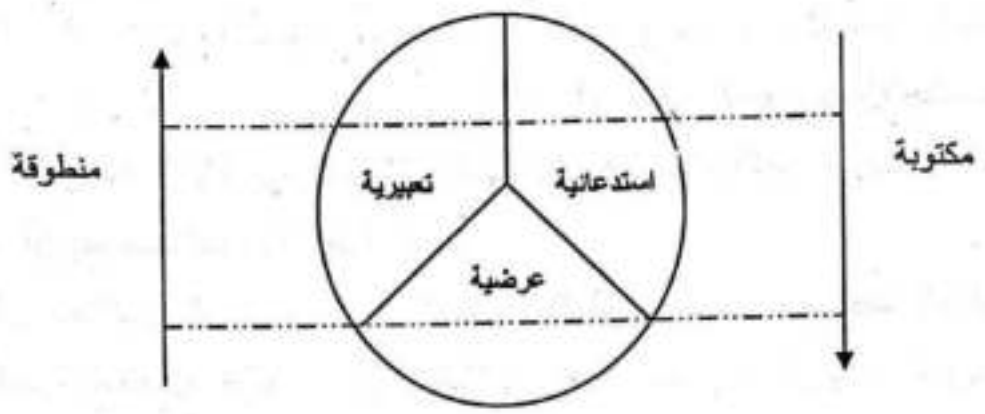

الشكل (١٩)

وقد اجتهد الباحث اللغوي المعاصر سول في إبراز وظيفة أخرى، هي الوظيفة التأكيدية (أي تأكيد الاتصال) التي يكون فيها الاتصال ذاته هو الهدف[1].

وهذه الوظيفة تقابل وظيفة إقامة الاتصال عند ياكوبسون، وتهدف إلى تأكيد الاتصال وتثبيته أو إيقافه. ويدخل في هذه الوظيفة العلامات التي تعمد إلى التأكد من فاعلية الاتصال (ألو، أتسمعني؟) أو إلى لفت انتباه المتحدث أو التثبت من عدم إهماله الخط (قل، أتسمعني؟)، أو الإشارة بأسلوب شكسبيري (اصغ إليّ جيدًا)، فيجيبه المستمع على الطرف الآخر: (هم.. هم)!

وتلعب وظيفة إقامة الاتصال دورًا مهمًا في الأحاديث العائلية أو الغرامية، حيث تنعدم أهمية محتوى الاتصال، فيصير مجرد الوجود في هذا المكان وتأكيد المرء ارتباطه بالمجموعة هدفي الاتصال الأساسيين. وفي هذه الأحاديث جميع الأفراد يكررون الكلمات ذاتها، والحركات ذاتها، كما أنهم يستعيدون الأخبار والروايات ذاتها، بحيث إن اتصالاً مبهمًا يبدو للزائر أو الغريب غير محتمل، ولكنه يغدو طريفًا للذي يشترك فيه والذي "يتعلق به"[2].

---

(1) Soell, op. cit., S. 33

(2) بيار غيرو: السيمياء، مرجع سابق، ص١٢-١٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويسوق هرمان Hermann أمثلة أخرى تبين غلبة الوظيفة التأكيدية كذلك في الشفرة المنطوقة، نحو الأحاديث اليومية، والمحادثات العابرة بين شخصين عن الجو أو الصحة... الخ، أو حتى المحادثات الاجتماعية ذات الصياغة الأسلوبية العالية. ففي مثل هذه الحالات لا يكون من الأدب أن يصمت المرء ولا يقول شيئًا[1].

إن تحاشي الصمت – في الوظيفة التأكيدية – هو حقًا الوظيفة الأساسية للكلام. والصمت والكلام – كما يقول سول ببساطة وعمق – يرتبطان ارتباطًا تامًا بالشفرة المنطوقة[2].

إن علاقة المتكلم بمجموع الخطاب والسياق الخطابي أقوى في اللغة المنطوقة منها في نظيرتها المكتوبة. ومن هنا نجد – كما يذكر فرانسواز أرمينكو – تعابير إنجازية، موجهة إلى ربط قول ما، بباقي الخطاب، وبكل السياق المحيط. من هنا نعثر على "أجيب" و"أستنبط" و"أستخلص" و"أعترض".

وتأتي هذه التعابير لتربط القول بالأقوال السابقة، وأحيانًا بالأقوال اللاحقة؛ إذ إن هذه الأقوال تأكيدية عامة[3].

---

(1) Hermann, H., Psychologie der Sprache, Berlin (1967) S. 8

(2) Soell, op. cit., S. 34

(3) فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة د/ سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط (١٩٨٦) ص٦٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الحادي عشر

الشفرة المنطوقة والشفرة المكتوبة

الفروق اللغوية والأسلوبية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشفرة المنطوقة والشفرة المكتوبة: الفروق اللغوية والأسلوبية

أود أن أستهل بحث الفروق اللغوية والأسلوبية بين الشفرتين: المنطوقة والمكتوبة بالإشارة إلى عدة عوامل واعتبارات مهمة، وهي:

أولاً: مراعاة الفروق بين كلام هؤلاء الذين تأثرت لغتهم تأثرًا واضحًا بالمعاشرة الطويلة والمستمرة لصيغ اللغة المكتوبة وكلام أولئك الذين لا يكادون يتأثرون بتلك الصيغ. وربما كان هناك من الناس من يقضي مع اللغة المكتوبة وقتًا أطول مما يقضيه مع اللغة المنطوقة. وهذا بالطبع أمر يخرج عن مألوف الممارسة اليومية للغة.

ثانيًا: تتخذ اللغة المكتوبة الأدبية عادة معيارًا للغة المكتوبة، بينما يكون كلام أولئك الذين لم يقضوا سنوات طويلة في معاشرة اللغة المكتوبة هو المعيار المعتاد للغة المنطوقة.

ثالثًا: على رغم ما سوف يتبدى لنا هنا من فروق لغوية وأسلوبية بين الشفرتين، وعلى رغم حرص اللغويين المعاصرين على بيان أثر التفريق بين الشفرتين في بحث قضية التنويعات اللغوية Sprachliche Varianten (على نحو ما نجد مثلاً عند الباحث اللغوي المعاصر كلاوس ديتر بارنيكل Klaus-dieter Barnickel الذي اعتمد تصنيف هاليدي Halliday الثنائي للغة) [1]، على رغم ذلك كله، فإن بعضًا من تلك

---

(1) Barnickel, Klaus-dieter, Sprachliche Varianten des Englischen, Teil-band 45, Erlanagen (1978) SS. 19-20

ويعد تصنيف هاليداي من التصنيفات الذائعة في علم اللغة الحديث للتنويعات اللغوية. وهو تصنيف ثنائي لأنه يصنفها إلى:

١- تنويع يرتبط بالمستخدم: وتتحدد عن طريق الأصل الجغرافي (مثل أمريكا أو انجلترا، ثم إلى شمال انجلترا وجنوبها، ثم الجنوب الغربي والشرقي... وهكذا). وعن طريق الوضع الاجتماعي والبناء الاجتماعي لأحد متكلمي جماعة لغوية.

٢- وتنويعات ترتبط بالاستخدام: وتتحدد عن طريق تنوع أنماط اللغة المختارة لتناسب مواقف مختلفة. وتتحدد هذه الأنماط من خلال الأبعاد التالية:

أ- حقل الخطاب: ويشير إلى ما يدور حوله الخطاب من موضوعات سياسية، وبيولوجية وغيرها.

ب- هيئة الخطاب: وترتبط بالدور الذي يلعبه النشاط اللغوي في موقف بعينه. وهناك التفريق الرئيس: لغة منطوقة – لغة مكتوبة، ثم التفريق الفرعي: المحادثة، الإعلانات، التعليقات الرياضية.

ج- أسلوب الخطاب: ويشير إلى العلاقات بين المشاركين في الحديث، وينقسم إلى: دارج، ورسمي.

(Barnickel, op. cit., SS. 19-20

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفروق يصعب وقفه تمامًا على إحدى الشفرتين دون الأخرى؛ لما بينهما من تداخلات. إن التمييز بين الصوتي والكتابي، أو المنطوق والمكتوب، هو – كما يقول جون ليونز J. Lyons – مسألة بديهية[1]. ولكننا نضيف أنه ليس تمييزًا حاسمًا قاطعًا على طول الخط في الوقت نفسه. ولعل ذلك ما حدا بلغوي اختصاصي في نظرية اللغة المنطوقة مثل لودفيج سول إلى القول بأن كلا من اللغتين: المكتوبة والمنطوقة لا تنفرد بنظم شفهية وإنما تنفرد بمعايير شفهية[2]. إن المعول عليه هنا هو معيار الشيوع؛ أعني شيوع ظاهرة ما في إحدى الشفرتين بالنسبة لترددها: قل أو كثر، في الشفرة الأخرى. فالحذف مثلاً ظاهرة لغوية معروفة، قد تقابلنا – بأشكالها المختلفة – في الشفرة المكتوبة، ولكنها – كما تدلنا النصوص المنطوقة المسجلة – أشيع وأكثر دلالة على الشفرة المنطوقة.

رابعًا: أن عامل التفاعل بين الشفرتين مما لا يمكن غض النظرعنه في التحليل الوصفي المنصف؛ فالمكتوبة تمد المنطوقة بكثير من صياغاتها وتراكيبها وقوالبها وتعابيرها. وللمنطوقة أيضًا تأثيراتها الظاهرة في إنشاء المكتوبة وقراءتها معًا. خذ مثالاً على ذلك اللغة المكتوبة التي تنحو بعناصرها المعجمية نحو ما يمكن تسميته بمعجم اللغة المنطوقة، بل إن نظم الجملة فيها ينحو نحو المنطوقة كذلك. من ناحيةأخرى، فإن قراءة المكتوبة في نشرات الأخبار مما يقربها من نظام المنطوقة، مثل: نطق ياء النسب غير مضعفة، وتجزئة الجمل المركبة والمعقدة حتى توائم قناة الاتصال السمعية عند المستمع، والتخفف من علامات الإعراب الرئيسة بالتسكين والوقف حيثما يجب الوصل...الخ.

خامسًا: إذا كان للغة المكتوبة مستوياتها اللغوية والأسلوبية التي تختلف بدورها من عصر إلى عصر، ومن كاتب إلى كاتب، بل قد تختلف عند كاتب واحد من موضوع إلى موضوع ومن موقف إلى موقف (قارن مثلاً بين لغة العقاد في إحدى عبقرياته المعروفة ولغته في "يوميات"

---

(1) Lyons, J., op. cit., p. 38
(2) Soell, op. cit., S. 27

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فإن للغة المنطوقة مستوياتها كذلك. إذا نظرنا مثلاً إلى تعدد المستويات في برامج التلفزيون المصري، رأينا أن اللغة المنطوقة في البرامج الثقافية شبه المتخصصة أو برامج المناقشات السياسية تبدو أعلى وأقوى رسمية من اللغة المنطوقة في برامج المنوعات والمحادثات الخفيفة.

وننتقل الآن إلى الإشارة إلى طائفة من الفروق اللغوية والأسلوبية الجوهرية بين الشفرتين في ضوء الملاحظات والاعتبارت السابقة. ونوجزها فيما يلي:

(١) أن أول ما نلاحظه من اختلافات هو أن إنتاج اللغة المنطوقة أقل غنى في نظامه النحوي وأقل اشتمالاً على المعلومات مما نجده في اللغة المكتوبة. وفي الوقت نفسه، فإن اللغة المنطوقة تحتوي على علامات تفاعل interactive markers أكثر مما تظهره اللغة المكتوبة.

ويمكننا بمساعدة الأعمال الوصفية التي أنجزها الباحثون المهتمون باللغة المنطوقة، أن نستخلص بعض السمات النحوية الفارقة بين الشفرتين على النحو التالي:

(أ) يقدم نحو اللغة المنطوقة أبنية أقل ثراء مما يقدمه نحو اللغة المكتوبة:

- تحتوي اللغة المنطوقة على جمل ثانوية أقل.
- يتميز خطاب المحادثة بالبساطة النحوية، وتكثر فيه صيغ المبني للمعلوم الإفصاحية التي تظهر انفعالات المتكلم الشخصية active declarative forms.

(ب) تعرف اللغة المكتوبة وفرة من أدوات التعليق بين الجمل أو ما يسمى بعلامات ما وراء اللغة metalinguistic markers، مثل: ذلك أن، حتى إن (وتعرف بالمكملات Complementisers)، أو عندما، بينما (وتعرف بالعلامات الزمنية temporal markers)، أو ما يسمى بأدوات الربط المنطقية Logical connectors مثل: إلى جانب ذلك، فضلاً عن ذلك، على أية حال، بالرغم من...الخ).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما اللغة المنطوقة، فإنها تميل إلى استخدام أدوات أخرى للربط، نحو: الواو، ثم، لكن، إذا الشرطية. من ناحية أخرى، فإن اللغة المكتوبة تظهر وسائل أسلوبية فيما اتسع وامتد من الكلام، نحو: أولاً، أهم من ذلك، باختصار، ونحوها. وهذه الوسائل نادرة في اللغة المنطوقة.

(ج) يكثر في اللغة المكتوبة التحويل إلى الجمل الاسمية، بينما يندر في اللغة المنطوقة أن نجد أكثر من صفتين محولتين. وتميل اللغة المنطوقة ميلاً قويًا إلى بناء قطع صغيرة قصيرة من الكلام، حتى إننا لا نجد إلا خبرًا واحدًا في وقت واحد، نحو قولنا: هي قطة كبرى + رقطاء + ذات أذنين ممزقتين!

وتميل المعلومات المرتبطة بحالة إسنادية بعينها إلى التركيز الشديد في اللغة المكتوبة، على نحو ما نجد في مثل قولنا: إن الرجل الذي يبحث منذ عشرة أيام عن دوائه في صيدليات البلد وهو يكابد آلامه قد مات في المستشفى!

(د) تبنى الجملة في اللغة المكتوبة بوجه عام من مسند ومسند إليه، بينما يشيع تمامًا في اللغة المنطوقة ما يسميه جيفون Givon بالمحور Topic والمفسرة Comment نحو: القطط + اتركها تخرج!

(هـ) يستعمل المتكلم تركيبًا نحويًا مكررا في حالات كثيرة. وقد يقع التكرير في الحالة الواحدة عدة مرات. وتعد هذه الخاصية علامة على اللغة المنطوقة وليست سمة انتقاصية ناتجة عن عجز تعبيري أو نقص كفاءة المتكلم اللغوية، نحو: انظر إلى هذا الطفل + انظر إليه + انظر إلى بسمته الرقيقة + بسمته الصافية + هي سر جماله + هي سر طفولته...الخ[1].

(٢) يضعف التعقيد النحوي في اللغة المنطوقة بتأثير الشفرة الصوتية، وإشارات اليدين، وتعبيرات الوجه، والإيماءات الأخرى التي تسد مسد

---

(1) Brown / Yule, op. cit., pp. 15-17
واعتمدت في كر الأمثلة أحيانًا على ما لدي من تسجيلات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجمل المركبة التي تكثر عادة في اللغة المكتوبة. ونذكر هنا بأن التنويع الإيقاعي والتغاير الميلودي/ مقترنين بتعبيرات الوجه في الشفرة المنطوقة، مما يقوي أثر التعبير المنطوق في عملية التبليغ[1].

(٣) تؤثر بعض العوامل التي تمايز بين الشفرتين في إظهار الفروق البنائية بينهما؛ فتلويحات اليدين وتعبيرات الوجه والعينين ونحوها، قد تغني في اللغة المنطوقة عن استكمال مادة التعبير لغويًا، وهي تعد – إذ ذاك – أدوات إشارية أو تبليغية مهمة. ومن هنا نلاحظ كثرة حالات الحذف (أو الفراغات) في تلك اللغة إذا قورنت بنظيرتها المكتوبة. إنه إذن نوع من ملء الفراغات اللغوية بإشارات غير لغوية. وقد مرت بنا إشارة لودفيج سول إلى أن الفراغات في الشفرة المنطوقة عامل من عوامل توفير الوقت للمتكلم، بينما لا تخضع اللغة المكتوبة لضغط عامل الوقت أو الزمن Zeitdruck، فهي تعطي الكلام حقه وتنظمه على مهل، وتسمح بإعادة النظر فيه، دون أن تبدو لذلك كله آثار واضحة[2].

(٤) في دراسة علاقة التوالي بين المسد إليه والمسند، يلاحظ سول أن حركتهما في الشفرة المنطوقة حركة متوترة وتعبيرية. وهي حركة مرتبطة كذلك بالتنغيم Intonation؛ فالمسند إليه المتقدم ينبر نبرًا أشد من المسند إذا تقدم[3].

(٥) تكشف دراسة التركيب النصي لكلتا الشفرتين عن ميل النصوص الشفهية إلى التبسيط والنقصان، والميل إلى البدء بالأسماء، والميل إلى التحويل والاستبدال، فجملة مثل: في ١٩١٧/٩/٢٦ توفي في باريس الرسام الفرنسي إدجاردوجلاس، يمكن أن تتحول إلى صيغة شفهية عن طريق إضافة (قول) ما يحدد الزمن، مثل: في مثل هذا اليوم، منذ ثلاثة وسبعين عاما، في ١٩١٧/٩/٢٦ توفي...الخ.

---

(1) Soell, op. cit., S. 22
(2) Soell, op. cit., S. 21
(3) Soell, op. cit., S. 58

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من ناحية أخرى، فإن الدراسة النصية تكشف عن سمات أخرى تميز مطالع النصوص الشفهية أو النصوص المنطوقة. وقد فطن لودفيج سول إلى سمة رئيسة منها، هي وفرة أساليب النداء والاستفهام وصيغ الأمر، فيما أسماه بجمل المطلع أو الاستهلال Vorspannsaetze، نحو:

- أنت، إنك المسئول عن كل ما حدث.
- هل سمعت؟ افتتح مطعم جديد أمس في...
- قل لي، ما رأيك في...؟[1].

ويلاحظ كذلك ميل جملة المطلع في النصوص الشفهية الحوارية غالبًا إلى القصر، بل إلى القصر الشديد، حتى تبنى من كلمة واحدة، لتعلقها بكلام سابق. ولا تعرف الجملة الاستهلالية في اللغة المكتوبة هذا القدر من القصر مهما حاكت اللغة المنطوقة، بل غالبًا ما تميل في اللغة المكتوبة الأدبية إلى الطول، والطول المفرط، من حيث توظيفها للوصف وعرض التفاصيل الصغيرة ونسج خيوط الفكرة على مهل، سواء أتوسلت إلى ذلك بالجملة الاسمية أم الفعلية أم شبه الجملة. فهذا من الأمور التي تتباين فيها أساليب الكتاب.

(٦) وفي دراسة الترددات المحددة للشفرتين spezifische Frequenzen، يلاحظ أن النصوص المكتوبة تتسم بأن ثروتها اللفظية أكثر تشعبًا واتساعًا من النصوص الشفيهة. من ناحية أخرى، فإن درجة تكرار الألفاظ المفردة في النصوص الشفهية أعلى مما تعرفه النصوص المكتوبة. ومن هنا غدا التكرار سمة مميزة للغة المنطوقة[2].

ويلاحظ أن المتكلم يستعمل معجمًا عامًا استعمالاً نمطيًا، نحو: قدر من، الحصول على، يعمل، شئ (حاجة)، لطيف، جميل، أشياء مثل هذا..الخ.

---

(1) Soell, op. ict., SS. 62-63
(2) Soell, op. cit., S. 64

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٧) يلاحظ أن السرد الشفهي لحقيقة أو موضوع ما أطول عادة من السرد المكتوب؛ فالنسبة بينهما – تبعًا لإحصاءات فريس Fraisse وبريتون Breyton – هي ١,٨٥ : ١؛ أي أن السرد الشفهي يكاد يصل إلى ضعف السرد المكتوب. ومن هنا يلاحظ لودفيج سول أن الكثافة (Dichte) الأقل للنص الشفهي (يعني كثافة الألفاظ وتعددها واتساع ثروتها) تعوض عن طريق الحجم الأكبر[1].

وأود أن أشير هنا إلى أنني قد قمت بتجربة تطبيقية لقياس الكثافة بين النص المكتوب والنص الشفوي. وكان مجال التطبيق الحكاية العاشرة من ملحمة الحرافيش لنجيب محفوظ، والمعروفة باسم (التوت والنبوت). طلبت من ستة طلاب – لا تعوزهم القدرة على الكتابة – أن يقوموا بتلخيصها مكتوبة مرة ومحكية شفهيًا مرة أخرى. وقارنت بين كثافة النص المكتوب والنص المسجل (وكانت المدة الزمنية المعطاة للكتابة والحكاية واحدة هي خمس عشرة دقيقة). وكانت نتيجة المقارنة كالتالي:

أولاً: لم يبد تأثر الطلاب، في الكتابة والحكاية، بلغة النص الروائي المكتوب إلا على نحو ضئيل للغاية.

ثانيًا: كاد التأثر بلغة الحوار ومعطياته القصصية في النص المكتوب أن يكون معدومًا، بينما بدا هذا التأثر في النص الشفهي واضحًا نسبيًا.

ثالثًا: أظهر الطلاب في النص المكتوب قدرة تعبيرية وأسلوبية أعلى من نظيرتها في النص الشفهي الذي بدا فيه التأثر باللغة الدارجة: مفردات وتراكيب واضحًا.

رابعًا: بلغت حالات التكرار اللفظي والمعنوي في النص الشفهي حوالي ثلاثة أمثال الحالات المماثلة في النص المكتوب. ويرتبط ذلك ارتباطًا وثيقًا بالتأثر بطبيعة اللغة الدارجة من حيث ميلها إلى الذاتية والانفعالية.

---

(1) Soell. Op. cit., S. 64

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خامسًا: بدت الجملة في النص المكتوب أطول منها في النص الشفهي. بيد أن العدد الإجمالي لجمل النص الشفهي تراوح بين: ١٨٠-٢٣٠ جملة، بينما تراوح العدد الإجمالي لجمل النص المكتوب بين: ٧٥- ١١٥ جملة. وبناء على ذلك، تكون النسبة بينهما هي: ١ : ٢ تقريبًا. وهي – تقريبًا – النسبة ذاتها مع العدد الإجمالي لمفردات كلا النصين.

سادسًا: بدا لي من المقارنة أن نسبة الكثافة واختلافها بين النصين ترتبط بطبيعة اللغة المنطوقة (من تلقائية وعناية بالتفاصيل وترجيع وحشو... الخ) أكثر من ارتباطها بالقدرة الفردية على الكتابة والإنشاء.

سابعًا: أظهر النص المكتوب سبكًا أقوى مما أظهره النص الشفهي، لاسيما فيما يتعلق بوسائل الإحالة reference والوصل conjunction، والحذف ellipsis.

(٨) وتنتج الفروق اللغوية بين الشفرتين كذلك من حاصل ترددات أقسام كلامية معينة، إذ يبدو أن نصيب (الصفة) في النص المكتوب أعلى – بوجه عام – منه في النص الشفهي[1].

وقد وصل جان بلانكن شيب Jeane Blankenship في بحث هذه المسألة في اللغة الإنجليزية إلى أن حصة الصفات في الخطاب المكتوب تزيد عن حصتها في الخطاب الشفهي بحوالي ٣٥٪[2].

وقد عني الباحث اللغوي دكتور/ سعد مصلوح بفحص نسبة الفعل إلى الصفة في ضوء معادلة بوزيمان، للتميز بين الأساليب وأنماطها. ويلاحظ أنه اقتصر في نماذجه التطبيقية المختارة على اللغة المكتوبة: أدبية وغير أدبية، ولم تكن من نماذجه ما يمثل اللغة المنطوقة. ومما انتهى إليه الدكتور مصلوح: أن لغة المونولوج والأحاديث الطويلة نسبيًا

---

(1) Soell, op. cit., S. 65

(2) Blankenship, Jeane, A Linguistic Analysis of Oral and Written Style, in: The Quarterly Journal of Modern Speech 48 (1962) pp. 429-422, p 421

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يصاحبها عادة انخفاض قيمة (ن ف ص)، على حين ترتفع هذه القيمة في الحوار والأحاديث القصيرة المتسمة بالحيوية[1]، وهذا ما ينبه إلى مراعاة عامل الشكل والطول في حساب القيمة.

(٩) من منظور دراسة علو الحشو وانخفاضه، يلاحظ أن اللغة المنطوقة أكثر حشوًا من نظيرتها المكتوبة. ويرجع ذلك إلى أن المتكلم ينتج عددًا كبيرًا من الفضلات اللغوية أو أدوات الحشو الجاهزة prefabricated fillers مثل: حسنًا، أظن، تعلم، إذا نظرت إلى ما أعني، بالطبع، وهكذا فإن...الخ[2]. ولنا هنا أن نقارن بين "المنطوق / المكتوب" من ناحية، و "الصوتي / الخطي" من ناحية أخرى. ويستنتج من المقارنة أن النص المكتوب يحتاج عملاً أكبر مما يحتاجه نص شفهي في مثل طوله. ويعني ذلك أن النص المكتوب يحتوي على معلومات أكثر من المعلومات التي يحتوي عليها نص شفهي؛ فالنص الشفهي أكثر حشوًا redundanter: فإذا أردنا أن نخبر عن معلومة بعينها، توقعنا أن يكون النص الشفهي أطول[3].

وفضلاً عن كثرة الحشو، نجد سمة أخرى هي الاسترسال في الخطاب المنطوق، في مقابل التركيز والتجميع في الخطاب المكتوب، ذلك أن "التواتر العام للمعلومات الورادة في الخطاب المنطوق يدل على أنها معلومات مسترسلة بأفكارها. أما المعلومات الورادة في الخطاب المكتوب فإنها أفكار مجمعة في جمل طويلة مظهرة العلاقات القائمة بين هذه الأفكار"[4].

وإذا قارنا بين "نص فونيمي" و"نص خطي" لاحظنا أن النص يحتوي عادة على حروف أكثر من احتوائه على فونيمات. ويعني هذا الأمر أن

---

(1) د/سعد مصلوح: الأسلوب، دراسة لغوية إحصائية،دار الفكر العربي، ط ثانية (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) ص٨٨

(2) Brown / Yule, op. cit., p. 17

(3) Soell, op. cit., SS. 66

(4) د/ مازن الوعر: دراسات لسانية تطبيقية، دار اطلاس، ط أولى، دمشق (١٩٨٩) ص٨٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النص الخطي أكثر حشوًا من نظيره الفونيمي. بعبارة أخرى: يحتوي الفونيم على معلومات أكثر مما تحتوي عليه الحروف. ومن ضم هذين العاملين أحدهما إلى الآخر، نصل إلى أعلى حشو في نص مبني بناء شفهيًا (الرسالة المنطوقة) يتجلى في إنجازه الخطي (الرسالة الخطية)، وأن أقل حشو في نص مكتوب (رسالة مكتوبة) يتجلى في إنجازه الفونيمي (رسالة فونيمية). وبين هذا وذاك تقع النصوص الشفهية والمكتوبة في إنجازها المناسب (منطوق – فونيمي، مكتوب – خطي). وهذا كله يعني أن الحشو الضئيل في نص مبني بناء مكتوبًا يتوازن مع الحشو الأعلى في الإنجاز الخطي، والعكس صحيح في النصوص المبنية بناء شفهيًا[1].

(١٠) في دراسة أنماط الجملة الاستفهامية بين الشفرتين، يلاحظ أن الشفرة المنطوقة أكثر ميلاً إلى ما يسمى (الاستفهام التنغيمي Intonationsfrage) من الشفرة المكتوبة. إنها تميل إلى الاستفهام بالتنغيم؛ للاتصال اللغوي المباشر بين المتكلم والمستمع، في مواضع تستخدم فيها الشفرة المكتوبة الاستفهام بالأداة. والاستفهام التنغيمي نوع من التوكيد من جانب المتكلم، وهو يعبر عن الدهشة والمفاجأة والانفعال، على حد قول سول[2]. وهي علامات أشد التصاقًا باللغة المنطوقة . (وسوف نرى في المبحث التالي وعي نحاة العربية القدماء باتساع كلام العرب، لاسيما بعض المنطوقات الشعرية المبنية على حكاية القول، لحالات الاستفهام محذوف الأداة ودلالة النغمة الصاعدة عليه).

وهناك نمط آخر من الجمل الاستفهامية، وهو الاستفهام المنفي بعد جملة مثبتة، وهو ما عرفته البلاغة العربية واللسانيات التداولية باسم "الاستفهام التذييلي" نحو قولنا: إنه موجود، أليس كذلك؟. ويشترك هذا

---

(1) Soel, op. cit., SS. 66-67
(2) Soell, op. cit., S. 139

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصول	الاستفهام التنغيمي		الاستفهام بالأداة	
	مرات التردد	النسبة%	مرات التردد	النسبة%
١	٧٥	٤٣,٣	٩٨	٥٦,٧
٢	٧٣	٤٤,٤	٩١	٥٥,٦
٣	٧٠	٣١,٨	١٢٧	٦٨,٢
٤	٥٢	٣٦	٨٤	٦٤

وبالرغم من تفاوت فصول هذه المسرحية – كما يبدو من الإحصاء السابق – في النسبة المئوية للاستفهام التنغيمي (ولهذا أسبابه الفنية الموضوعية التي لا تعنينا الآن)، فإن الذي لا خلاف عليه أن الاستفهام التنغيمي يزاحم الاستفهام بالأداة، ويكاد متوسط الاستفهام التنغيمي وحده يقرب من ٤٠٪ من مجموع الجمل الاستفهامية. وهي نسبة عالية حقًا تجعله سمة أساسية من سمات التعبير الشفهي أو اللغة المنطوقة وما ينحو منحاها من نصوص أدبية. ويبدو هذا الأمر واضحًا وضوحًا لا شك فيه إذا أدركنا أن الاستفهام التنغيمي يتراوح في النصوص المكتوبة الخالصة بين: ١٪ و ٧٪ لا غير.

أضف إلى ما سبق كثرة ما يمكن تسميته بـ (الاستفهام المقلوب) (من حيث إن الصدارة لأداة الاستفهام) في التعبير الشفهي، وهو الاستفهام الذي تتأخر فيه الأداة. ونجد أمثلة على هذا النوع من تلك المسرحية ما يلي:

- أحدثك عن ماذا؟[1].
- فهمت ماذا؟[2].
- ولكن ماذا؟[3].
- يسبقنا من؟[4].

---

(1) توفيق الحكيم: الأيدي الناعمة، مكتبة الآداب، بدون تاريخ، ص١٢٠
(2) المرجع السابق، ص١٤٠
(3) المرجع السابق، ص١٤١
(4) المرجع السابق، ص١٥٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- ضم ماذا إذن؟[1].

ويرتبط هذا النمط من أنماط الاستفهام بالأداة من حيث تردده وخواصه التركيبية بالديالوج. ولم تهتم البحوث التطبيقية بمعالجة هذا النمط. ويمكننا أن نجعله نوعًا من التأكد من جانب المتكلم؛ لارتباطه بكلام متحدث آخر يؤثر في تركيبه.

إن الاستفهام التنغيمي يبدو الشكل المألوف للكلام الشفهي، دون أن يكون لذلك ارتباطه بالتدرج الطبقي للمستويات اللغوية؛ فالمتكلمون المتعلمون والمثقفون يستخدمونه كثيرًا على نحو ما يستخدمه "البسطاء" أو غير المتعلمين تمامًا. وإذا كان الاستفهام التنغيمي في ارتباطه بالكلام التلقائي (غير المعد) يبدو سمة شفهية جوهرية، فإنه ينبغي ملاحظة اقتراب النصوص الشعبية – باعتبارها ترديدًا وترجيعًا شفهيًا – من نصوص الروايات في النسبة المئوية للاستفهام التنغيمي.

إن النسب العالية لتردد الاستفهام التنغيمي في الشفرة المنطوقة تبين أنه قد بات الصورة الاستفهامية العامة. وليس لنا – إذ ذاك – أن نعده استفهامًا موحيًا suggestiv أو تعبيريًا expressiv. وينتج عن ذلك بالضرورة أن تكون نسب تردد الاستفهام بالأداة في الخطاب الشفهي الخالص نسبًا منخفضة؛ إذ قد تصل أحيانًا إلى ١٪ فقط، في مقابل النصوص المكتوبة التي قد يصل الاستفهام بالأداة فيها إلى ٩٩٪[2].

(١١) من منظور قضية تجزئة الخطاب الشفهي، عني العلماء بما أسموه بـ (علامات التجزئة) أو (الفصل Gliederungssignale)؛ فاستفتاح الجملة بكلمة مثل (إذن) باعتبارها مدار الأمر أو محرك الكلام chevilles، يعد من الكلمات التي تدرس تحت ما يعرف بـ (علامات التجزئة). ونعلم أن (إذن) من حروف المعني في العربية، وأنها تأتي في معنى الجواب والجزاء. فمن الجواب ما نراه في قول القائل: أكرمك،

---

(1) المرجع السابق، ص١٦١

(2) Soell, op. cit., SS. 141-142

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- ضم ماذا إذن؟[1].

ويرتبط هذا النمط من أنماط الاستفهام بالأداة من حيث تردده وخواصه التركيبية بالديالوج. ولم تهتم البحوث التطبيقية بمعالجة هذا النمط. ويمكننا أن نجعله نوعًا من التاكد من جانب المتكلم؛ لارتباطه بكلام متحدث آخر يؤثر في تركيبه.

إن الاستفهام التنغيمي يبدو الشكل المألوف للكلام الشفهي، دون أن يكون لذلك ارتباطه بالتدرج الطبقي للمستويات اللغوية؛ فالمتكلمون المتعلمون والمثقفون يستخدمونه كثيرًا على نحو ما يستخدمه "البسطاء" أو غير المتعلمين تمامًا. وإذا كان الاستفهام التنغيمي في ارتباطه بالكلام التلقائي (غير المعد) يبدو سمة شفهية جوهرية، فإنه ينبغي ملاحظة اقتراب النصوص الشعبية – باعتبارها ترديدًا وترجيعًا شفهيًا – من نصوص الروايات في النسبة المئوية للاستفهام التنغيمي.

إن النسب العالية لتردد الاستفهام التنغيمي في الشفرة المنطوقة تبين أنه قد بات الصورة الاستفهامية العامة. وليس لنا – إذ ذاك – أن نعده استفهامًا موحيًا suggestiv أو تعبيريًا expressiv. وينتج عن ذلك بالضرورة أن تكون نسب تردد الاستفهام بالأداة في الخطاب الشفهي الخالص نسبًا منخفضة؛ إذ قد تصل أحيانًا إلى ١٪ فقط، في مقابل النصوص المكتوبة التي قد يصل الاستفهام بالأداة فيها إلى ٩٩٪[2].

(١١) من منظور قضية تجزئة الخطاب الشفهي، عني العلماء بما أسموه بـ (علامات التجزئة) أو (الفصل Gliederungssignale)؛ فاستفتاح الجملة بكلمة مثل (إذن) باعتبارها مدار الأمر أو محرك الكلام chevilles، يعد من الكلمات التي تدرس تحت ما يعرف بـ (علامات التجزئة). ونعلم أن (إذن) من حروف المعني في العربية، وأنها تأتي في معنى الجواب والجزاء. فمن الجواب ما نراه في قول القائل: أكرمك،

---

(1) المرجع السابق، ص١٦١

(2) Soell, op. cit., SS. 141-142

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فتقول: إذن أظنك صادقًا، ومن الجزاء الذي يضم إليه معنى الجواب كذلك، أن يقال: أكرمك، فتقول: إذن أزورك، فهذا جواب وجزاء معًا. ويفهم من ذلك أن (إذن) تكون بمعنى الجواب دائمًا، وتكون في بعض المواضع جزاء فضلاً عن معنى الجواب في الوقت نفسه. ارتباط (إذن) بمعنى الجواب يعني ارتباطها بخطاب شفهي، أو بخطاب ذي طبيعة شفهية، تتوزعه عناصره بين متكلم ومخاطب، من موقف اتصالي مباشر.

وينظر العلماء إلى الكلمات السابقة وأمثالها على أنها من كلمات الحشو Flickwoerter. والحق أن مسألة (كلمات الحشو) لا يمكن - كما ينبه سول - أن تدرس في إطار الجملة، وإنما هي مسألة من مسائل علم اللغة النصي Textlinguistik. ولذلك فإن حصيلة ما جاء به النحاة التقليديون الذين لم يكادوا يتجاوزون حدود الجملة، كانت - بشأن هذه المسألة - حصيلة ضئيلة جدًا[1].

ويلاحظ أن اللغة المنطوقة تميل - بعامة - إلى استخدام كلمات الحشو أكثر مما نعثر عليه في اللغة المكتوبة. ويلاحظ - من ناحية أخرى - أن الخطاب الشفهي، لاسيما في حالة الديالوج، يتعرض للقطع المتكرر من جانب المشاركين في الكلام. وقد يتكرر هذا القطع بتأثير ظروف أخرى. ولا يمكن أن تمحى آثار القطع في الشفرة المنطوقة كما تمحى في نظيرتها المكتوبة[2].

---

(1) Soell, op. cit., S. 163

والمرجع في هذه المسألة هو دراسة جيلش Guelich المستفيضة عن اللغة الفرنسية. وهو صاحب مصطلح (علامات التجزئة). راجع كتابه:

Guelich, E., Makrosyntax der Gliederungssignale im gesprochen Franzoesischen, Muenchen (1970).

(2) Soell, op. cit., S. 170

ويتفق الباحثون على أن النقط الثلاث... ترمز إلى قطع المتكلم كلامه ثم مواصلته أو إعادة تركيبه. وترمز النقط الثلاث بين قوسين (...) إلى قطع المتكلم كلامه وعدم إكماله اعتمادًا على سياق الكلام. ويرمز السهم الصاعد يمينًا ↗ إلى قطع المتكلم كلام مدة قصيرة بحثًا عن الكلمة المناسبة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وجدير بالانتباه هنا أن القطع قد ينتج كلمات تعد حشوًا في الكلام، مثل:

إذن، طيب، يعني، وأخيرًا، المهم... ونحوها.

(١٢) تختلف اللغة المنطوقة عن اللغة المكتوبة في بعض جوانب نظام الوقف في العربية. ولعل أهم مظاهر هذا الالختلاف الوقف في اللغة المنطوقة كثيرًا حيثما يجب الوصل في نظام اللغة المكتوبة. ونحن نعلم أن اللهجات العربية المحكية القديمة قد عرفت صورًا من الوقف لم تعرفها اللغة الفصيحة المشتركة[1].

ولعل ذلك من الأسباب التي حدت بالمستشرق المعروف هاريس بركلاند إلى القول بأن الوقف مفهوم نسبي[2]. ولعل حكم بركلان على نظام الوقف في العربية بالنسبية ينطبق على ما استقرأته من نصوص منطوقة معاصرة؛ ففي هذه النصوص يكثر تقطيع الجمل وتجزئتها وتقصيرها بتأثير الوقفات الداخلية التي لا تعرفها العربية الكلاسيكية تأثيرًا مباشرًا.

ويمكننا – بهذا الصدد – أن نجعل قراءة العربية المكتوبة على نحو ما نألفها في نشرات الأخبار مثلاً ممثلة لحالة وسطى من نظام الوقف بين العربية المنطوقة والوقف في عربية النحاة؛ ذلك أن قراءة النشرة تقتضي وقفًا بالتسكين حيثما لا يلزم ذلك في قواعد الوقف القديمة.

---

(1) من ذلك مثلاً الوقف بالسكون حيثما يجب الوصل، مما يؤدي إلى تضعيف المثلين، نحو قولهم: هذا جيبْ بكر، أي جيبُ بكر، وثوبْ بكر، أي ثوبُ بكر:
(ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ نشر ٣/ ١٢٧). ويمكننا أن نجعل ذلك دليلاً على قدم الوقفات الداخلية في العربية.

(2) Birkeland,Harris,Altarabische Pausalformen,Oslo (1940) S.5
وقد كرر بركلاند Birkeland هذه الفكرة في عمل آخر بقوله: "إن الصيغة الوقفية للكلمة هي الصيغة التي تبدو فيها منطوقة بمفردها، في نظير الصيغة المنطوقة في الدرج. ويتضح من هذا التعريف أن الوقف فكرة نسبية relative notion، فهو فكرة بعينها جوهرها نطق الكلمة حتى تتبعها مباشرة كلمات أخرى أو لا تتبعها:
Birkeland, Harris, Growth and Structure of the Egyptian Arabic Dialect, Oslo (1952) p. 9

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهو نوع من التسهيل الذي تتسم به اللغة المنطوقة ومانحًا نحوها من نصوص مقروءة.

وينبغي لنا هنا أن نفرق بين الوقف في نصوص بنيت بناء مكتوبًا كنشرات الأخبار ونصوص منطوقة غير معدة؛ فالوقف الداخلي بالتسكين في الأولى اصطناعي؛ لأنه مرتبط بالعملية التبليغية وموجباتها في لغة الإعلام المسموع.

أما الوقف الداخلي في الثانية فهو مرتبط بالخصائص البنائية الجوهرية للغة المنطوقة وبما يؤثر فيها من عوا مل التذكر، والتلقائية، والتخلي شيئًا ما عن النظم المحكم.

فهو إذن نابع من طبيعتها ومعبر عنها، وليس دخيلاً عليها لغاية تبليغية خارجية.

ومن المفيد هنا أن نتعرف على محاولة براون/ يول – بعد دراسة نصية تطبيقية – تصنيف حدود الطول النسبي للوقفات – وفقًا لمدة الاستغراق الزمني Duration – إلى ثلاثة أصناف:

١- الوقفات المديدة extended pauses: وهي وقفات شديدة الطول، يتراوح مداها بين ٣,٢ – ١٦ ثانية (وهي الوقفات التي تقع في المواضع التي يزود فيها المتكلم سامعه بمعلومات كافية عما يصفه أو يتحدث عنه).

ويرمز إلى هذا النوع من الوقفات بالرمز ++.

٢- الوقفات الطويلة long pauses: ويتراوح مداها الزمني بين ١ – ١,٩ من الثانية.

ويرمز لهذا النوع بالرمز +.

٣- الوقفات القصيرة short pauses: ويتراوح مداها الزمني بين ٠,١ – ٠,٦ من الثانية.

ويرمز لهذا النوع بالرمز - .

والحق أن مدى الوقفات السابقة يرتبط ارتباطًا مباشرًا بالنص المدروس عند هذين الباحثين، فهو مدى نسبي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمتفق عليه أن الوقفات المديدة والطويلة تعبر عن حدود الوحدات الإخبارية (وحدات المعلومات information units)[1]، بينما تعبر الوقفات القصيرة عن جزء داخلي من الوحدة[2]. وهنا يكمن الفرق بين الشفرة المنطوقة والشفرة المكتوبة؛ فلا ترتبط الوقفات الداخلية المديدة أو الطويلة بحدود الوحدة الإخبارية دائمًا، وإنما تؤدي وظيفة الوقفات القصيرة في اللغة المكتوبة، من حيث ارتباطها بجزء داخلي من الوحدة لا غير.

إن المدى الزمني للوقفات الداخلية في الشفرة المنطوقة أشد تفاوتًا وأقوى أثرًا في تركيب الجملة؛ إذ تصبح سلسلة من الحزم الكلامية التي تميل إلى القصر، بل إلى القصر الشديد (كالوقف على حرف جر). وتخضع هذه الحزم الكلامية لتصرف المتكلم في كيفية تنظيمه إياها تنظيمًا داخليًا خضوعًا قويًا.

وللتذكر والتلقائية وأداء المتكلم الخاص آثارها المباشرة في تفاوت المدى وحرية التنظيم.

إن الكلام التلقائي غير المعد يدلنا – كما يذكر براون / يول – على أن المتكلمين ينطقون وحدات يرتبط بعضها بالبعض الآخر ارتباطًا إيقاعيًا، دون أن يتقيد نطق تلك الوحدات دائمًا بالمكونات النحوية. إنها

---

(1) وهي تعني الوحدات الصغرى في بنية الخطاب والتي تمكن المتكلمين من تحديد حالة المعلومة أو المعلومات التي يشتمل عليها جزء من الخطاب لمخاطبيهم. وقد طور هاليدي Halliday فكرة وحدة المعلومة على مستوى العبارة أو الجملة في مدرسة براغ تطويرًا يرتبط باهتماماته وتصوراته عن بنية النصوص. وهو يقسم المعلومة إلى:

(أ) معلومة جديدة new information وهي التي يرى المرسل أنها غير معروفة عند المرسل إليه.

(ب) المعلومة القديمة أو المعطاة من قبل given information، وهي التي يرى المرسل أنها معروفة عند المرسل إليه، إما لأنها موجودة فيزيقيًا في السياق، أو لأنها قد ذكرت في الخطاب. انظر:

Brown / Yule, op. cit., pp. 153-154

(2) Brown / Yule, op. cit., pp. 162-163

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تنطق وفقاً لما يراه المتكلم من ارتباط بعضها ببعض[1]. ونود أن نقدم هنا نموذجين لإظهار الوقفات الداخلية في كل من الديالوج ونشرة الأخبار:

القطعة النصية الديالوجية:

(أ) إلى أي حد ++ استطاعت رواية – في بيتنا رجل + أن تعبر عن فكر إحسان عبد القدوس السياسي؟++

(ب) كانت الـ← فكرة الوطنية + أو الحماسة الوطنية – هي + استقلال... استقلال مصر + وطرد الاحتلال الإنجليزي – من خلال – عمليات مقاومة الاحتلال – والكتابة ضده – والنضال + ضد + الوجود الإنجليزي في مصر – في ذلك الوقت... إحسان عبدالقدوس + كما تكلمنا ← انفعل بالواقع الذي عاشه + وهو – فترة النضال + ضد الاستعمار الإنجليزي++ومن هنا ←كانت في بيتنا رجل+ يعني← متوافقة مؤكدًا + مع فكر إحسان عبد القدوس + وهي أيضًا... رواية فيما أعتقد← مستوحاة من الواقع المصري ++ في بيتنا رجل – كما تعرفين – أسرة مصرية – عادية جدًا + لم يكن لها دخل ++ مباشر + بالعمل السياسي والوطني – وضعت في + موقف إيواء فدائي هارب + فكان لابد – لكل أسرة + يعني← تستنفر – أو تستنهض ما بداخلها من حس وطني + وتدافع – عن هذا الفدائي + إلى + النهاية ++

النص الإخباري (من نشرة أخبار إذاعية):

(تبدأ في عمان + غدًا الجمعةْ + تبدأ اجتماعات اللجنة التحضيريةْ + للإعداد لاجتماع الدورة العاشرةْ + للجنة المصرية الأردنية المشتركةْ + التي ستعقد هناكْ – في أواخر الأسبوع القادمْ + برئاسة الدكتورْ... رئيس الوزراء والسيد... رئيس وزراء الأردنْ ++ ومن المقررْ – أن يصل الدكتورْ... وزير الدولة للتعاون الدولي – إلى عمان غدًا – ليرأس وفد مصر في اجتماعات اللجنة التحضيرية المصرية الأردنيةْ + التي ستبحث تقارير اللجان الفرعية في مختلف المجالاتْ + وذلك بالنسبة لما تم تنفيذهْ

(1) Brown / Yule, op. cit., p. 157

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

– من مشروعات مشتركةْ + وقرارات تخدمُ + وتدعم العلاقة بين مصر والأردنْ + كما تبحث اللجنةْ – عددًا من القراراتْ + والمشروعاتْ + التي سيتم تنفيذها في المستقبلْ + بين البلدينْ + في المجالات المختلفةْ ++)

ويمكننا باختبار القطعتين السابقتين أن نسجل الملحوظات التالية:

(أ) إذا قارنا بين هاتين القطعتين بعامة وبين نص آخر مكتوب يخضع خضوعًا تامًا لقوانين الوقف في عربية النحاة، للاحظنا الاختلاف البين في عدد الوقفات وفي مواضعها كذلك؛ فقد بنى النصان السابقان على أساس التجزئة مع اختلافهما في الكيفية والأسباب على نحو ما أظهرنا سابقًا.

(ب) ينبغي أن يكون العدد الإجمالي للوقفات في النص الديالوجي: داخلية وخارجية، مقارنة بقوانين الوقف القديمة، حوالي ١٢ وقفة، ولكننا نجد هنا حوالي ٥٠ وقفة. ويستنتج من ذلك أن نسبة الوقفات في الخطاب المنطوق إلى نسبتها في الخطاب المكتوب تبلغ حوالي: ١: ٤، أو بعبارة أخرى تبلغ الوقفات الداخلية والخارجية مجتمعة في الخطاب المنطوق أربعة أمثال نظائرها في الخطاب المكتوب!

(ج) ينبغي أن يكون العدد الإجمالي للوقفات في النص الإخباري الإذاعي: داخلية وخارجية، مقارنة بقوانين الوقف القديمة، حوالي ٩ وقفات، ولكننا نجد هنا حوالي ١٤ وقفة. ويستنتج من ذلك أيضًا أن نسبة الوقفات في الخطاب المعد الملفوظ الآن في نشرات الأخبار ونحوها من برامج إخبارية وثقافية معدة إعدادًا خاصًا، إلى نسبتها في قراءة النص ذاته وفقًا لقوانين الوقف الكلاسيكية هي ١ : ٢,٥، أو بعبارة أخرى تبلغ الوقفات في العربية المقروءة اليوم في النشرات الإخبارية ونحوها حوالي ضعف عددها في القراءة المعتادة وفقًا لقوانين الوقف في كتب النحاة.

(د) من ذلك يبدو اختلاف النص المنطوق عن النص المعد اختلافًا واضحًا، كما يبدو – من ناحية أخرى – وقوف نشرات الأخبار ونحوها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

موقفًا وسطًا بين الوقف في الخطاب المنطوق التلقائي والوقف في العربية المكتوبة الكلاسيكية.

(هـ) يعرف النص المنطوق وقفات لا يعرفها النص المعد المقروء، نحو وقفات التذكر والبحث عن الكلمة المناسبة التي يرمز لها هنا بالسهم المائل الصاعد جهة اليمين ↗، وهي وقفات تسبق عادة بعلامات لغوية مثل (أعني) و(يعني) و(أعتقد) و(كما قلنا) ونحوها. فضلاً عن ذلك اتسع النص المنطوق الديالوجي للنقاط الثلاث... التي ترمز إلى قطع المتكلم كلامه، ثم مواصلته أوإعادة تركيبه. ويبدو القطع والمواصلة في عبارة نحو (في ذلك الوقت... إحسان عبد القدوس). كما يبدو القطع وإعادة التركيب في عبارة (استقلال... استقلال مصر)!.

(و) تتخذ الوقفات المديدة في النص المعد المقروء للفصل بين وحدات المعلومات الكبرى والفقرات الكلامية، بينما تقع الوقفات المديدة أحيانًا داخل الوحدة الواحدة في الخطاب المنطوق الحواري، على نحو ما نجد هنا مثلاً في وحدة (لم يكن لها دخل ++ مباشر).

(١٣) وإذا تأملنا ما بين الشفرتين من تباين معجمي، لاحظنا أن الشفرة المكتوبة – تبعًا لمواصفات إنتاجها الخاص – أشد إعدادًا وأقوى تنظيمًا. ومن هنا فإن المخزون المعجمي Lexikoninventar للغة يستثمر في الشفرة المكتوبة استثمارًا أفضل من استثماره في الشفرة المنطوقة. إن التنوع في الوحدات المعجمية التي يتضمنها نص مكتوب أقوى وأشد منه في نص منطوق يماثله في الحجم (أي في عدد وحداته). ومن أجل ذلك، نرى أن العلاقة بين الثروة اللفظية في الشفرة العامة وما يستخدم منها type - tokens - relation أقوى مع الشفرة المكتوبة منها مع الشفرة المنطوقة. وينتج عن هذا الأمر كون النسبة المئوية لتكرار "المستخدم" في نص منطوق أعلى مما في نظيره المكتوب، مادامت النصوص الشفهية تحتوي على "مستخدم" أقل مما تحتوي عليه النصوص المكتوبة. وقد وصل ج. هردان G. Herdan إلى أن "المستخدم" في النصوص المكتوبة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يغطي نحوًا من ٦٧٪ من الثروة الفعلية الكلية للغة الإنجليزية، بينما يغطي "المستخدم" في النصوص الشفهية نحوًا من ٣٢٪ من تلك الثروة فحسب[1].

(١٤) وفي التمييز بين الشفرتين غدا شائعًا استخدام المقابلة: معلّم / غير معلّم. فالمعيار المكتوب من اللغة يجعله فاشيك Vachek معيارًا معلمًا markierte Norm بينما يجعل المعيار المنطوق غير معلم unmarkierte، دون أن يعني ذلك انتقاصًا من وزن أحد هذين المعيارين: وظيفيًا أو بنائيًا[2].

وتعد الوحدة اللغوية معلمة إذ تميزت بخاصية صوتية أو صرفية أو تركيبية أو دلالية تجعلها تتعارض مع وحدات أخرى لها الطبيعة ذاتها في اللغة ذاتها. وتكون الوحدة غير معلمة إذ تجردت من هذه الخاصية[3]. ويعكس التعارض الثنائي بين الوحدة المعلمة والوحدة غير المعلمة ما بين الشفرتين من فروق لغوية – أسلوبية. وهنا يلاحظ جان دوبوا J. Dubois أن اللغة المكتوبة ليست تشفيرًا مباشرًا للغة منطوقة؛ وذلك أن اللغة المكتوبة تختلف عن نظيرتها المنطوقة في مخزونها اللغوي الفعلي اختلافًا جوهريًا. وتعرف اللغة المكتوبة بميلها إلى إيثار استخدام المفردات المعلمة أسلوبيًا ((des termes stylistiquement marqués على المفردات غير المعلمة (non marqués)[4].

والحق أن معيار الوحدات المعلمة / وغير المعلمة معيار نسبي، وليس معيارًا مطلقًا في التمييز بين الشفرتين تمييزًا قاطعًا؛ وذلك أن التصنيف الأولي للغة إلى مكتوبة ومنطوقة داخل نظام لغوي واحد، لا يجعلنا

---

(1) Soell, op. cit., SS. 186-187

(2) Vachek, J., Zu allgemeinen Fragen der Rechtschreibung und der geschriebenen Norm der Sprache, in: Stilistik und Soziolinguistik, Berlin (1971) SS. 100-122, S. 114

(3) د/ سيزا قاسم، د/ نصر حامد أبو زيد: مدخل إلى السيموطيقا، دار إلياس العصرية (١٩٨٦) ص٣٥٥

(4) Dubois, J., Grammaire Structurale du Francais, Le Verbe, Paris (1967) p. 101

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نتصور – على المستويين: الدلالي والمعجمي - أن هناك وحدات لغوية تختص اختصاصًا تامًا بإحداهما دون الأخرى. فاللفظتان (حينما) و(عندما) نلاحظ معهما أن الأولى يعلو معدل تكرارها نسبيًا في النصوص المكتوبة. أما الثانية، فتبقى أشيع اللفظتين على الإطلاق. ويمكننا أن نقيس على ذلك اللفظتين (أنى) و(أين): فالأولى يعلو معدل تكرارها في اللغة المكتوبة الأدبية، وإن كانت الثانية أشيع اللفظتين استخداما في كلتا الشفرتين بما لكل منهما من مستويات، على الإطلاق. والشئ نفسه يمكن أن يقال عن الكلمتين (لدى) و(عند)؛ فالأولى أقوى ارتباطًا بالمكتوبة الأدبية، وإن كانت (عند) هي الأشيع في الاستعمال العام. ويؤكد ذلك كله القول بصعوبة اختصاص إحدى الشفرتين بوحدات بعينها دون الأخرى اختصاصًا مطلقًا. ولعل هذه الفكرة كانت وراء قول سول بأنه "يمكننا أن نرجع الشفرة المنطوقة code parlé بكاملها إلى اختصاص أسلوبية اللغة المنطوقة؛ أي إلى نوع خاص من الاستخدام الذي يميز اللغة المنطوقة عن الأدوات اللغوية العامة والنظام اللغوي العام"[1].

Soell, op, cit., S27 (1)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثاني عشر

اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة
وموقف التراث اللغوي العربي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة وموقف التراث اللغوي العربي

أول ما نلاحظه أن هذه التفرقة الاصطلاحية غير واردة على الإطلاق في تراثنا اللغوي. وليس في إشارات النحاة واللغويين إلى الظواهر الكلامية ما يدل عليها صراحة. ونحن نعلم – في الوقت نفسه – أن هناك طائفة من المسائل والظواهر اللغوية التي يعتني بها علم اللغة الحديث قد حومت حولها الدراسات اللغوية العربية القديمة، ولكنها لم تضع لها اصطلاحاتها الخاصة؛ ذلك أن اللغويين القدماء – كما يقول دكتور تمام حسان – كانوا (كما لا نزال نلحظ في مصطلحات سيبويه وعناوين أبوابه) يصفون الأفكار ولا يسمونها بأسماء ثابتة لها تعرف بها[1]. وليس لنا – فيما يبدو – أن نفهم شيئًا مثل هذا الذي عرضنا له في الصفحات السابقة عن لغة منطوقة وأخرى مكتوبة منتميتين إلى نظام لغوي واحد، إلا ما يمكن أن نفهمه من الفرق بين ما أطلقوا عليه (اللغة) وما أطلقوا عليه (الكلام). بيد أن هذا التقابل نفسه بين (اللغة) و(الكلام) لا يسلم من التداخل والغموض؛ فاللغة التي هي في العرف المعاصر النظام العام، كانت تطلق عندهم – في الوقت نفسه – على ما نسميه الآن باللهجة؛ فاللغة هي النظام تارة وهي إحدى لهجات القبائل، كقولهم: لغة تميم، تارة أخرى. والكلام – الذي هو في العرف المعاصر – ممارسة الأداء الفعلي للغة، هو عند القدماء اللغة ذاتها على الإطلاق.

وإذا كان توصيف القدماء للعربية قد استند استنادًا حقيقيًا إلى اللغة المكتوبة، فإن في بعض إشارات النحاة واللغويين ما يرتبط بحالة التكلم وهيئته وسياقه من ظواهر وتغيرات لغوية. ونود – قبل الإشارة إلى تلك الظاهرات والتغيرات المرتبطة بحالة النطق أو التكلم – أن نشير إلى الاعتبارات التالية:

---

(1) د/ تمام حسان: المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة. مجلة فصول، المجلد السابع، العددان: الثالث والرابع (إبريل – سبتمبر ١٩٨٧) ص٢١-٣٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أولاً: يصعب الفصل في كثير جدًا من الحالات بين ما يمكن جعله من ظواهر اللغة المنطوقة وما هو استعمال فني خاص أو خاصية لهجية، أو تنويع أسلوبي، أو نوع من التوسع، أو تصرف شاذ لا يقاس عليه.

ثانيًا: لم يتخل النحاة تخليًا تامًا عما جاء في كلام العرب من ظواهر نحوية محلية، على نحو ما نعرف في مناقشاتهم منذ سيبويه لـ (ما) التميمية و(ما) الحجازية، أو إشارات سيبويه إلى اختلاف الحجازيين عن التميميين في الاسم المعروف الغالب إذا استفهمنا عنه بـ (من): فالحجازيون يجعلون الاسم في الجملة الاستفهامية على حالته الإعرابية في الجملة الخبرية: رفعًا ونصبًا وجرًا، نحو:

هذا عبد الله	من عبد الله ؟
رأيت زيدًا	من زيدًا ؟
مررت بزيد	من زيد ؟

وأما بنو تميم فيرفعون على كل حال[1]. وعلى رغم ذلك تبقى دراساتهم الوصفية المستفيضة للنحو العربي قائمة على أساس اللغة الموحدة أو المشتركة.

ثالثًا: تجاوزت بعض أحكام القدماء على ظاهرات لغوية أقرب إلى اللغة المنطوقة التأصيل والتحليل إلى أحكام تقويمية بالحسن أو الرداءة أو الضعف أو الخروج على القياس أو اللحن أو الشذوذ...الخ.

رابعًا: تقضي اعتبارات اللغة المنطوقة من حيث هي ممارسة تلقائية للغة المكتوبة، تقضي بشئ من إقامة الاعتبار لما خرج عن قوانين القياس أو اللغة المكتوبة. وقد بدا ذلك في كلامهم عن (المسموع) أو (الاستعمال) مقارنين بما يؤدي إليه (القياس). ولعل من أنصع إشارات القدماء وأصرحها في هذا الشأن، ما نجده عند ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في بابه الذي عقده عن (تعارض السماع والقياس). ومن أهم ما انتهى إليه في هذا الباب:

---

(1) سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر): الكتاب، تحقيق وشرح/ عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (١٩٧٧) ٤١٣/٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١- إذا تعارض السماع والقياس، نطقت بالمسموع على ما جاء عليه، ولم تقسه في غيره[1].

٢- إذا شذ الشئ في الاستعمال وقوى في القياس، كان استعمال ما كثر استعماله أولى، وإن لم ينته قياسه إلى ما انتهى إليه استعماله[2].

٣- إذا أداك القياس إلى شئ ما، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشئ آخر على قياس غيره، فدع ما كنت عليه، إلى ما هم عليه. فإن سمعت من آخر مثل ما أجزته، فأنت فيه مخيَّر: تستعمل أيهما شئت[3].

وقد طور ابن جني أفكاره السابقة حتى انتهى بها إلى شئ مما ترسخ في علم اللغة الحديث من مبادئ وأوليات. ونحن نرى ذلك في بابه المعروف (فيما يرد عن العربي مخالفًا لما عليه الجمهور). وأكد ابن جني في هذا الباب اعتبار الراوي أو الإنسان الفرد: من حيث فصاحته وإحسان الظن بما انفرد به، لاسيما إذا قبل القياس ما أورده. قال ابن جني:

"إذا اتفق شئ من ذلك نظر في حال ذلك العربي وفيما جاء به، فإن كان الإنسان فصيحًا في جميع ما عدا ذلك القدر الذي انفرد به، وكان ما أورده مما يقبله القياس، إلا أنه لم يرد به استعمال إلا من جهة ذلك الإنسان، فإن الأولى في ذلك أن يحسن الظن به، ولا يحمل على فساده"[4].

ويبقى من باب ابن جني هذا نص آخر يظهر حدود اعتباره للراوي أو ذلك الإنسان العربي الفصيح الذي يحدثنا عنه بما يقطع على التأويل والجدل السبيل. يقول ابن جني:

"فإذا كان الأمر كذلك لم نقطع على الفصيح يسمع منه ما يخالف الجمهور بالخطأ، ما وجد طريق إلى تقبل ما يورده، إذا كان القياس

---

(1) ابن جني (أبو الفتح عثمان): الخصائص، تحقيق/ محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ نشر، ١١٧/١

(2) المرجع السابق ١٢٤/١

(3) المرجع نفسه ١٢٥/١

(4) المرجع نفسه ٣٨٥/١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يعاضده، فإن لم يكن القياس مسوغًا له، كرفع المفعول، وجر الفاعل، ورفع المضاف إليه، فينبغي أن يرد؛ وذلك لأنه جاء مخالفًا للقياس والسماع جميعًا، فلم يبق له عصمة تضيفه، ولا مسكة تجمع شعاعه"[1].

ونود أن نعود الآن مرة أخرى إلى أهم ما ورد في مصادر تراثنا اللغوي من إشارات إلى ظواهر كلامية خاصة، تلمح إلى ما يعترض كلام المتكلم من تغيرات حال النطق. ولا تدل تلك الإشارات – على أي حال – على وعي واضح بنظرية اللغة المنطوقة وما بينها وبين الصورة المكتوبة من فروق، وإنما هي – بالأحرى – كما يفهم من منطلقاتها النظرية – إشارات ونماذج تمثيلية ترتبط بحال الكلام أو حال المتكلم عند النطق. بعبارة أخرى: إن المادة اللغوية التي وقعت فيها تلك الأمثلة والإشارات لا تمثل اللغة المنطوقة بالمصطلح الحديث، وإن كانت تلك الأمثلة – على نحو ما سنرى – تتفق مع بعض الخصائص الأساسية للتعبير الشفهي.

وفيما يلي أهم الإشارات التي وقفنا عليها في بعض المصادر اللغوية والنحوية الكبرى:

١- ما يتعلق بحال المتكلم عند التذكر، وينتج عن ذلك مطل الألف والواو والياء. وذلك عند تذكر المتكلم للمفعول به أو الظرف:

أخواك ضربا	(أي ضربا زيدًا ونحوه).
ضربوا	(أي ضربوا زيدًا، أو ضربوا يوم الجمعة، أو ضربوا قياما، فتتذكر الحال).
اضربي	(أي اضربي زيدًا ونحوه)[2].

والمطل مع هذه الحركات الثلاث في الوقف وعند التذكر يعني أن المتكلم يستحضر في نطقه ما يدل على أن كلامه لم يتم بعد، وعلى أنه متذكر شيئًا، فإذا وقف المتكلم على كلامه بمطل الحركة علم

(1) ابن جني: الخصائص، مرجع سابق ٣٨٧/١
(2) ابن جني: الخصائص ١٢٨/٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بذلك أنه بعبارة ابن جني: "متطاول إلى كلام تال للأول، منوط به، معقود ما قبله على تضمنه وخلطه بجملته"[1].

مطل المتكلم هذه الحركات إذن نوع من الإطالة المعقودة بحالة (التكلم)، أو لنقل بالمصطلح الحديث: بحالة (المشافهة)، لتكون دليل المرسل إليه إلى فهم ما قد يريده المرسل بكلامه، وإن لم يتمه.

ويلتقط ابن جني معنى جامعًا بين (وقفة التذكر) و(الندبة)، وهو قوة الحاجة إلى إطالة الصوت في الموضعين. "فكلما كانت هذه حال هذه الأحرف، وكنت عند التذكر كالناطق بالحرف المستذكر، صار كأنه هو ملفوظ به. فتمت هذه الأحرف وإن وقعن أطرافًا، كما يتممن إذا وقعن حشوًا لا أواخر"[2].

٢- ما يتعلق برتبة الكلام في نفس المتكلم، وذلك مما يداني خاصية (ضعف التعقيد النحوي) في اللغة المنطوقة على نحو ما رأينا من قبل. ونحسب أن من مظاهر ذلك ما أسماه القدماء بـ (الحمل على المعنى)؛ فمما عرف عن العرب – كما يستخلص ابن جني – أنها إذا حملت على المعنى لم تكد تراجع اللفظ، كقولك: شكرت من أحسنوا إليّ على فعله. ولو قلت: شكرت من أحسن إليّ على فعلهم جاز"[3].

٣- يشيع في اللغة المنطوقة على نحو ما رأينا العطف بالواو، ولكن هذه الواو تسقط من الكلام أحيانًا. ويرتبط إسقاطها بضرب من الاختصار الذي يصاحب عملية (المشافهة) أحيانًا اعتمادًا على دور المستمع. ومثال ذلك ما حكاه أبوعثمان عن أبي زيد من حذف حرف العطف في نحو قولهم: أكلت لحمًا، سمكًا، تمرًا[4].

٤- ما يتعلق بنوع من تصرف المتكلم في كلامه. ويمكننا أن نجعل من ذلك (بدل الاشتمال) في نحو: أكلت الرغيف ثلثه. وقد سمى

---

(1) المرجع نفسه ١٢٨/٣
(2) ابن جني: المرجع نفسه ١٢٩/٣
(3) ابن جني: الخصائص ٤٢٠/٢
(4) المرجع نفسه ٢٨٠/٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بهذا الاسم لاشتمال المتبوع على التابع، من حيث كونه دالاً عليه إجمالاً ومتقاضيًا له بوجه ما بحيث تبقى النفس عند ذكر الأول متشوقة إلى ذكر ثان، منتظرة له، فيجئ الثاني ملخصًا لما أجمل في الأول مبينًا له[1].

ونحن نحترز هنا بوقوع بدل الاشتمال في اللغة المكتوبة كذلك، وإن كانت صورته التركيبية وغايته التبليغية مرتبطتين أكثر بحال اللغة المنطوقة.

٥- الاستفهام التنغيمي، وقد عده القدماء نوعًا من حذف همزة الاستفهام. وهي نظرة شكلية لا غير. ويمكننا تطوير النظرة إلى هذه الحالة بأنها نوع من نقل الخطاب من مجرد التبليغ إلى حال (المشافهة)، سواء أكان ذلك (حكاية قول) أم غير حكاية.

فمن حكاية القول قول الشاعر:

فأصبحت فيهم آمنًا لا كمعشر أتوني، وقالوا: من ربيعة أو مضر؟

يريد: أمن ربيعة.

ومن ذلك أيضًا قول عمر بن أبي ربيعة:

ثم قالوا: تحبّها، قلت: بهرا عدد القطر والحصى والتراب

يريد: أتحبها؟ فحذف همزة الاستفهام.

وقد وقع ذلك أيضًا في غير الحكاية كقول الكميت:

طربت وما شوقًا إلى البيض أطرب ولا لعبًا مني، وذو الشيب يلعب

أراد: أو ذو الشيب يلعب؟[2].

والحق أن أصدق وصف نراه لتلك الحالات، وقد وقعت في لغة مكتوبة تفتقد التلقائية والمشافهة المباشرة، أنها نوع من تمثل خاصية غالبة في اللغة المنطوقة في لغة مكتوبة أدبية.

---

(1) ابن الحاجب (جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر): الكافية في النحو، شرحه رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ٣٣٨/١-٣٣٩.

(2) ابن جني: الخصائص ٢٨١/٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٦- الحذف الذي يكون في جواب استفهام. وقد أفرد له سيبويه بابًا أسماه (باب ما يكون فيه المصدر حينًا لسعة الكلام والاختصار)، وذلك قولك: متى سير عليه؟ فيقول مَقْدَمَ الحاج، وخفوقَ النجم، وخلافة فلان، وصلاة العصر. فإنما هو: زمن مقدم الحاج، وحين خفوق النجم، ولكنه على سعة الكلام والاختصار[1].

وتنظر الدراسات الأسلوبية الحديثة إلى هذا النوع من الحذف باعتباره حذفًا عارضًا okkasionelle Ellipse يبين السلوك المتنوع وغير الاضطراري للمشاركين في الكلام[2].

(ب) حذف الصفة ودلالة الموقف التبليغي على المحذوف؛ وذلك كقولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل. وكأن هذا – كما يقول ابن جني – إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها. وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك[3].

وغني عن البيان أن التطويح والتطريح ونحوهما أدوات إشارية غير لغوية، قد تغني أحيانًا – داخل الموقف التبليغي المباشر الذي يقتضي فهم السامع – عن استكمال مادة التعبير لغويًا. هي إذن أدوات لملء الفراغات اللغوية – كما ذكرنا من قبل – بإشارات غير لغوية.

أما التفخيم والتعظيم، فهما درجتان من درجات (طبقة الصوت) التي تتحكم كثيرًا في توجيه الكلام إلى دلالة عامة مقصودة، باعتبارها أداة لغوية إشارية. وقد فطن ابن جني إلى ذلك وعبر عنه بطريقته، قال:

"وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته. وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه. فتقول: كان والله رجلاً! فتزيد في قوة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها، أي:

---

(1) سيبويه: الكتاب ١/٢٢٢

(2) Fleischer,W./ Michel, G. Stilistik der deutschen Gegenwartssprache, 2., Auflage, Leipzig (1977) S. 178

(3) ابن جني: الخصائص ٢/٣٧٠-٣٧١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رجلاً فاضلاً أو شجاعًا أو كريمًا أو نحو ذلك. وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنسانًا! وتمكن الصوت بـ (إنسان) وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانًا سمحًا أو جوادًا أو نحو ذلك[1].

أضف إلى كل ما سبق أن ابن جني قد فطن صراحة إلى أثر تعبيرات الوجه المباشر في العملية التبليغية، حيث تقوم تلك التعبيرات والإيماءات مقام اللفظ. يقول ابن جني:

"... وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنسانًا! وتزوي وجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك: إنسانًا لئيمًا أو لَحِزًا أو مُبَخَّلا ونحو ذلك"[2].

٧- الحالات التي قد ترتبط بما يعرض للمتكلم أحيانًا من غلط أو نسيان، ويمكن أن تكون ممثلة لحالة من التخاطب التلقائي الطبيعي، يعدله المتكلم عن طريق التصحيح الفوري، ومن ذلك: "أن تقول: رأيت زيدًا عمرًا، لأنه إنما أراد عمرًا، فنسي، فتدارك"[3].

ويستنتج من كل ما سبق أن القدماء قد مسوا بعض الظواهر اللغوية التي ترتبط بحالة التكلم أو حالة المتكلم ذاته أو بعض ما يدور في فلك اللغة المنطوقة – في الدراسات الحديثة – من خصائص وسمات عامة، دون أن يخصوا اللغة الفصيحة في شكلها المنطوق – بالمفهوم الذي أشرنا إليه في موضعه – بالبحث والمقارنة. إن تعرف النحاة واللغويين على النمط المنطوق من اللغة لم يتجاوز إشارات ضئيلة إلى ما يصاحب العملية الكلامية أو عملية المشافهة أحيانًا، من تغيرات فونولوجية أو تركيبية. وظل بحثهم في (المقام) بعيدًا عن نطاق تمثله تمثلاً سوسيولوجيا واضحًا يكشف عن وعي بيِّن بالفروق بين الشفرتين، فكان أقرب إلى ما يعرف الآن بـ (تحليل الخطاب Discourse Analysis) منه إلى نظرية اللغة المنطوقة. لقد استخرج النحاة قواعدهم من مادة اللغة المكتوبة، ولم

---

(1) ابن جن: الخصائص ٣٧١/٢
(2) المرجع السابق ٣٧١/٢
(3) سيبويه: الكتاب ٣٤١/٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يعتبروا معطيات اللغات المحكية إلا قليلاً. من أجل ذلك، لا نكاد نعرف شيئًا عن نحو العربية المنطوقة، في الوقت الذي ندرك فيه أن اللغة المنطوقة لا تنحو نحو اللغة المكتوبة في حالات كثيرة. وما زالت هناك مناطق واسعة شاغرة حتى الآن في علم النحو العربي، منها مثلاً نحو الديالوج التلقائي الطبيعي.

أضف إلى ما سبق أن النحو العربي لم يقم على لغة مكتوبة فحسب، بل على لغة مكتوبة أدبية، أو ذات طبيعة أدبية فنية؛ كلغة القرآن والحديث والشعر والصور الرسمية الأخرى من اللغة المكتوبة كالخطابة والأقوال المأثورة والحكم، وهي تمثل أشد الأساليب شكلية ورسمية. وجد هذا الموقف شبيهًا بما عرفته القواعد التقليدية في الغرب حتى زمن قريب، فقد قادت النظرة الجزئية إلى اللغة إلى العجز عن تغطية المجال الكلي لصور اللغة المكتوبة اكتفاء بالبحث في أكثر الأساليب وأعلاها رسمية. أما الأساليب الأخرى التي يشتم منها عدم الرسمية، فكانت العناية بها ضئيلة، وإن ذكرت صنفت على أنها "عامية" أو "سوقية Slangs" وجعلت مثالاً على "النحو الردئ Bad Grammar"[1].

إننا نتعلم حتى الآن نحو اللغة المكتوبة. وكثيرًا ما نجهل سمات اللغة المنطوقة وخصائصها المميزة؛ لأنها لم تسجل في مادة اللغة المكتوبة ولم يحللها النحاة القدماء.

وينبغي لعلم اللغة العربي الحديث أن يضطلع بدور رئيس في التعرف على ما بين النمطين من فروق أخرى ووصفها. وعلينا أن نأخذ أنفسنا من الناحيتين العلمية والتعليمية معًا بمحاولة الفصل بين هذين الشكلين، لاسيما على المستوى الفونولوجي والمستوى التركيبي، مهما بدا الفصل بينهما فصلاً حادًا أمرًا صعبًا عزيز المنال.

---

(1) Crystal,David,Linguistics, Pelican Books, Great Britain (1971) p. 60

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قائمة المصطلحات الأجنبية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(A)

Abtoenung	توكيد
(Abtoenungspartikel)	حرف توكيد
Acceptability	معيار (القابلية)
Accomplishment	إنجاز / تحقيق
(practical accomplishment)	إنجاز فعلي / عملي
Altagsrede	لغة الحياة اليومية
Alterata	تحويرات
Anrede	محادثة / مخاطبة
Appell	نداء / استدعاء
(Appellsfunktion)	وظيفة ندائية / استحضارية
Argumentation	استدلال
Assoziation	تشارك
Ausdruck	تعبير / اصطلاح
(Ausdrucksfunktion)	وظيفة تعبيرية
Ausgangszustand	حالة البداية (في الحدث التبليغي)

(B)

Buehnensprache	التدريب على النطق الفصيح للغة

(C)

Cheviles	محركات الكلام
Classical	فصيح / قديم
(Classical Arabic)	العربية الفصيحة / القديمة
Code	شفرة
(Code graphique)	شفرة خطية
(code parlé)	الشفرة المنطوقة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(Code phonique)	شفرة صوتية
Coherence	(معيار) التآلف
Cohesion	(معيار) التماسك
Comment	مفسرة
Common	مشترك
(Common Language)	لغة مشتركة
Communication	تبليغ / توصيل
Communicative	تبليغي / توصيلي
Complementisers	مكملات
Connection	ربط / وصل
Connectors	روابط
(Logical Connectors)	راوبط منطقية
Context	السياق
(Context of Situation)	سياق الموقف
(Original Context)	السياق الأصلي
Conversation	محادثة
(Conversational Form)	صيغة حوارية
(D)	
Descriptive	وصفي
Diachronisch (= Fr. Diachronique)	تاريخي
Dialectology (= dt. Dialedtologie)	علم اللهجات
Dialekt	لهجة
(geographische Dialekt)	لهجة جغرافية
(soziale Dialekt)	لهجة اجتماعية
Dialogue	حوار / ديالوج

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Dichte	الكثافة
Discourse	الخطاب
(Discourse Analysis)	تحليل الخطاب
Duration	الاستغراق الزمني
(E)	
Einstellung	وجهة نظر
Ellipse	الحذف
(okkasionelle Ellipse)	الحذف العرضي
Elliptisch	افتراضي
Emotive	انفعالي (وظيفة انفعالية)
Encounter	مواجهة / مقابلة
Ethnomethodology (= Ethnomethodologie)	الإثنوميثودولوجيا dt.
Expressiv	تعبيري (وظيفة تعبيرية)
(F)	
Lillers	أدوات الحشو
(prefabricated fillers)	أدوات الحشو الجاهزة
Flickwort	مفردة حشو
Formulierung	صياغة / تشكيل
(sprachliche Formulierung)	صياغة / تشكيل لغوي
Frequenz	(معيار) التردد
(G)	
Geschrieben	مكتوب
(geschriebene Sprache)	اللغة المكتوبة
Gestik	تلويحات اليدين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Gesture	إيماءة
(bodily Gesture)	إيماءة بدنية
Gliederung	التجزئة
(Gliederungssignale)	علامات التجزئة
(H)	
Historical	تاريخي
(historical Linguistics)	علم اللغة التاريخي
Hochsprache	اللغة الفصيحة
(I)	
Incomplete	ناقص
(incomplete Sentence)	جملة ناقصة
Information	معلومة
(given Information)	معلومة معطاه من قبل
(new Information)	معلومة جديدة
Informativity	(معيار) الإخبارية / الإعلامية
Intentionality	(معيار) المقصدية
Interaction (= dt. Interaktion)	التفاعل
(everyday Social Interaction)	التفاعل الاجتماعي اليومي
(Social Interaction)	التفاعل اليومي
(Symbolic Interaction)	التفاعلية الرمزية
Interactive	تفاعلي
Interaktionsstil	أسلوب التفاعل
Intertextuality	التناص / تفاعل النصوص
Intonation	التنغيم

لممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاستفهام التنغيمي	(intonationsfrage)
	(K)
الشفرة	Kode
التشفير	Kodierugn
وسطي	Koine
العربية الوسطى	(Arabic Koine)
التعليق	Kommentar
التبليغ / التوصيل	Kommunikation
موقف تبليغي	(kommunikationsi tuation)
الكفاءة	Kompetenz
تبليغي (وظيفة تبليغية)	Konative
احتكاك / اتصال	Kontakt
قبول الاتصال	(kontaktafnahme)
وسط الاحتكاك / الاتصال	(Kontaktsmedium)
السياق	Kontext
الوسط السياقي	(Kondtextmedium)
الإخبار (وظيفة إخبارية)	Kundgabe
	(L)
لغة	Language
لغة مقدسة	(sacred language)
الكلام الصامت	(silent Language)
المحتويات المعجمية	Lexikoninventar
الوصل	Liaison
لغوي	linguist
علم اللغة	linguistics

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(historical Linguistics)	علم اللغة التاريخي
Linguistique	علم اللغة
(Linguistique diachronique)	علم اللغة التاريخي
(M)	
Metalinguistic	ما وراء اللغة
(metalinguistic Markers)	علامات ما وراء اللغة
Metasprachlich	ما وراء اللغة
(metasprahliche Funktion)	وظيفة ما وراء اللغة
Mimik	تعبيرات الوجه
Mundart	لهجة
(N)	
Nachricht	خبر
Norm	المعيار
(markierte Norm)	معيار معلم
(unmarkierte Norm)	معيار غير معلم
(O)	
Oral	شفهي
(oral speech)	كلام شفهي
Oralitaet	المشافهة
(urspruengliche Oralitaet)	المشافهة الحقيقية
(P)	
Paradigmatisch	استبدالي (علاقة الاستبدال)
Partikel	حرف / أداة
(Abtoneungspartikel)	حروف التوكيد
Pause	الوقف / وقفة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Pejorativa	تصغير التحقير
Philologist	فقيه لغوي
Phonisierung	التحويل إلى شفرة صوتية / التلفظ / التصويت
Poetisch	شعري
(poetische Funktion)	وظيفة شعرية
Poetry	شعر
(oral poetry)	الشعر الشفهي
Prescriptive	افتراضي
Prestige	اعتبار / مكانة
(prestige-Dialket)	لهجة أساسية
(R)	
Reasoning	العقلانية
(sociological reasoning)	العقلانية الاجتماعية
Reciting	القص / التسميع
Rede	الكلام / الخطاب
(Alltagsrede)	الخطاب اليومي
(Redekonstellation)	حالة خطابية / حدث خطابي
(Rede-Kontext)	سياق الخطاب
(freie Rede)	الخطاب الحر
(spontane Rede)	الخطاب التلقائي
Redundanz	الحشو / فضلات كلامية
Response	استجابة
(S)	
Satz	جملة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Schriftsprache	لغة مكتوبة
Segmentierung	التجزئة
(Segmentierungssignale)	علامات التجزئة
Semiology	علم العلامات
Signal	علامة
Situation	الموقف
(face – to – face – Situation)	موقف المواجهة
(soziale Situation)	الموقف الاجتماعي
Situationality	الموقفية
Slang	كلام دارج / لهجة سوقية
Sociolinguistics	علم اللغة الاجتماعي
Speaking	التكلم
Speech	الكلام
(premeditated speech)	الكلام المتروي
(unpremeditated speech)	الكلام غير المتروي
Spoken	منطوق
(spoken discourse)	الخطاب المنطوق
(spoken Language)	اللغة المنطوقة
Sprache	لغة
(fiktive Sprache)	لغة متخيلة
(rezitierte Sprache)	لغة مقروءة
(simulierte Sprache)	لغة مفتعلة
Sprachniveau	المستوى اللغوي
Sprachregister	المستوى اللغوي
sprachschichtenforschung	البحث في الطبقات اللغوية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Sprechakt	حدث كلامي / لغوي
Sprechaktsequenz	توالي الأحداث اللغوية
Sprecherwechsel	تغير المتكلمين
Sprechsituation	الموقف اللغوي / الكلامي
Standard	معياري
(standard Arabic)	العربية المعيارية
(standard Language)	اللغة المعيارية
Strukturalismus (= eg. Structuralism)	البنيوية
Suggestiv	إيحائي
Symbol	رمز
Symptom	مؤشر
Synchrjonique (=dt. Synchronisch)	وصفي
(T)	
Text	النص
Textlinguistik (=eg. Textlinguistics)	علم اللغة النصي
Textsorte	أنماط النص
Topic	المحور
(U)	
Umfeld	المحيط (محيط الكلام)
Umgangsarabisch	العربية الدارجة
Umgangssprache	اللغة الدارجة
Unit	وحدة
(information unit)	وحدة المعلومة
Variant	تنويع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(sprachliche Variant)	تنويع لغوي
Vernacular	لهجة / كلام دارج
Voice	صوت
(voice quality)	نوعية الصوت
Vorspannsatz	جملة المطلع
(Z)	
Zielzustand	حالة الهدف (من الحدث التبليغي)
Zusammenhang	السياق / المساق
(handlungszusammenhang)	السايق التعاملي
Zweispracheigkeit	الازداوجية اللغوية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قائمة المراجع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أولاً: المراجع العربية والمترجمة:

١- أحمد زايد (دكتور): علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية، دار المعارف بمصر (١٩٨١م).

٢- بيار غيرو: السيمياء، ترجمة أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت – باريس، الطبعة الأولى (١٩٨٤م).

٣- تمام حسان (دكتور): المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة، مجلة فصول، المجلد السابع، العددان: الثالث والرابع (إبريل – سبتمبر ١٩٧٨م).

٤- توفيق الحكيم: الأيدي الناعمة، مكتبة الآداب، القاهرة، بدون تاريخ.

٥- توماس لوكمان: علم اجتماع اللغة، تعريب دكتور أبو بكر أحمد باقادر، كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

٦- جان كوهين: بناء لغة الشعر، ترجمة دكتور أحمد درويش، مكتبة الزهراء، القاهرة، بدون تاريخ.

٧- ابن جني (أبوالفتح عثمان): الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ.

٨- جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق، ترجمة دكتورعباس صادق عبد الوهاب، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى (١٩٨٧م).

٩- ابن الحاجب (جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر): الكافية في النحو، شرحه رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٥ – ١٩٨٥).

١٠- رونالد إيلوار: مدخل إلى اللسانيات، ترجمة دكتور بدر الدين القاسم، منشورات وزارة التعليم العالي، سورية (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

١١- زينب شاهين (دكتورة): الإثنوميثودولوجيا: رؤية جديدة لدراسة المجتمع، مركز التنمية البشرية والمعلومات، القاهرة (١٩٨٧م).

١٢- سعد مصلوح (دكتور): الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية (١٤٠٤ – ١٩٨٤م).

١٣- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر): الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (١٩٧٧م).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٤- سيزا قاسم / نصر حامد أبو زيد: مدخل إلى السيميوطيقا، دار إلياس العصرية، القاهرة (١٩٨٦م).
١٥- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة دكتور سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط (١٩٨٦م).
١٦- فندريس: اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، بدون تاريخ.
١٧- قباري محمد إسماعيل (دكتور): أصول علم الاجتماع، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية (١٩٧٨م).
١٨- مارك ريشل: اكتساب اللغة، ترجمة دكتور كمال بكداش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١ (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
١٩- ماريو باي: أسس علم اللغة، ترجمة دكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
٢٠- مازن الوعر (دكتور): دراسات لسانية تطبيقية، دار طلاس، دمشق، الطبعة الأولى (١٩٨٩م).
٢١- محمد حافظ دياب (دكتور): الإثنميثودولوجيا: ملاحظات حول التحليل الاجتماعي للغة، مجلة فصول، المجلد الرابع، العدد الثالث (١٩٨٤م).
٢٢- مريم أحمد مصطفى (دكتورة): قضايا التنظير للتنمية في العالم الثالث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية (١٩٨٥م).

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

1- Abercrombie, D., Conversation and Spoken Prose, in: D. Abercrombie: Studies in Phonetics and Linguistics, London (1965).
2- Althaus, Peter/Henee, H. / Wiegand, H., Ernst (hrsg.), :Lexion der Germanistischen Linguistik, 2., Auflage, Max Niemeyer Verlag, Tuebingen (1980).
3- Barnickel, Klaus-dieter, Sprachliche Varianten des Englischen, Teilband 45 / 1, Nationale, Regionale und soziale Verianten, Hueber Hochschulreihe 45, Erlangen (1978).
4- Birkeland, Harris, Altarabische Pausalformen, Oslo (1940).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

---------- Growth and Structure of the Egyptian Arabic Dialect, Olso (1952).
5- Blankenship, Jeane, A Linguistic Analysis of Oral and Written Style, in: The Quarterly Journal of Modern Speech 48 (1962).
6- Bloomfield, Lanuage, Uni. Of Chicago, USA., (1984).
7- Brown, Gillian / Yule, George, Discourse Analysis, Cambridge Uni. Press (1983).
8- Caseriu, Eugenio, Textlinguistik, Eine Einfuehrung, Cunter Narr Verlage, 20, durchges. Auflage Tuebingen (1981).
9- Coulthard, Malcolm, An Introduction to Discourse Analysis, Longman Group LTD. England (1977).
10- Crystal, David, Linguistics, Pelican Books, Great Britain (1971).
11- De Beaugrande, Robert-Alain / Dressler, Wolfgang Ulrich, Introduction to Textlinguistics, London and New York (1981).
12- Diem, Werner, Hochsprache und Dialekt im Arabischen, Wiesbaden (1974).
13- Dubois, J., Grammaire Structurale du Francais, Le Verbe, Paris (1967).
14- Eagleson, R., D., Premeditated and unpremeditated Speech, in: English Studies 39 (1985).
15- Eggers, Hans, Zur Syntax der deutschen Sprache der Gegenwart, in: Studium generale 15 (1962).
----------, Deutsche Gegenwartssprache im Wandel der Gesellschaft, in: Sprache, Gegenwart und Geschichte (Sprache der Gegenwart, Bd. V hrsg. Von H., Moser) Duesseldorf (1969).
16- Ferguson, Charles, A., The Arabic Koine, in: Language, Journal of the Linguistic Society of America, ed. By: B. Bloch, Volume 35, Waverly Press, Inc. Baltimore USA (1959).
17- Firth, J, R, The Tongues of Men and Speech, Oxford Uni. Press, London (1978).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

18- Fischer, Wolfdietrich / Jastrow, Otto, Handbuch der arabischen Dialekte, Otto Harrassowitx, Wiesbaden (1980).
19- Fleischer, W., / Michel, G., Stilistik der deutschen Gegenwartssprache, 20, Auflage, Leipzig (1977).
20- Garfinkel, Harold, Studies in Ethnomethodology, Englewood Cliffs, New York (1967).
21- Goffmann, E., Das Individuum im oeffentlichen Austausch, Mikrostudien zur oeffentlichen Ordnung, Frankfurt (1974).
22- Goody, J., The Domestication of the Savage Mind, Cambridge Uni. Press (1977).
23- Guelich, E., Makrosyntax der Gliederungssignale im gesprochen Franzoesischen, Muenchen (1970_.
24- Hermann, H., Psychologie der Sprache, Berlin (1976).
25- Jacobson, Roman, Linguistik und Poetik, In: J., Ihwe (hersg.), Literaturwissenschaft und linguistik, Frankfurt / Main (1972).
----------, Linguistique et Communication, Laffont, Paris (1975).
26- Kropfitsch, Lorenz, Semantische Tendenzen im Neuhocharabischen, in: ZAL (= Zeitschrift der arabischen Linguistik) Heft 5, Otto Harrassowitz, Wiesbaden (1978).
27- Leiter, Kenneth, A Primer on Ethnomethodology, Oxford Uni. Press, N. y (1980).
28- Loeschmann, Marianne, Vom Lesen zum Sprechen, VEB Verlag / Enzyklopaedie, Lepipzig, 1., Auflage (1985).
29- Lyons, John, Introduction to Theoritical Linguistics, Cambridge Uni. Press (1968).
30- Mehan, Hugh / wood, Houston, The Reality of Ethnomethodology , New York (1975).
31- Mitchel, T. F., Educated Spoken Arabic in Egypt and the Levant with special reference to Praticiple and Tense, in: J. of Linguistics 14 Great Britain (1978).

لممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

32- Moser, H., Umgangssprache, Ueberlegungen zu Ihren Formen und ihrer Stellung im Sprachganzen, in: Zeitschrift fuer Mundartforschung 27 (1960).
33- Quirk, R., Colloquial English and Communication, in: Studies in Communication, London (1955).
34- Schank, Gerd / Schoenthal; Giesela, Gesprochene Sprache, Eine Einfuehrung in Forchungsansaetze und Analysemethoden, 2., durchgesehene Auflage, Max Niemyer Verlag, Tuebingen (1983).
35- Singer, Hans – Rudolf, Der neuarabische Sprachraum, in: Grundriss der Arabischen Philologie, Bd. 1, Hrsg. Von: Wolfdietrich Fischer, Wiesbaden (1982).
36- Soell, Ludwig, Gesprochenes und geschriebenes Franzoesisch, Erich Schmidt Verlag, 2., Auflage, Berlin (1980).
37- Vachek, J., Zu allgemeinen Fragen der Rechtschreibung und der geschriebenen Norm der Sprache, in: Stilistik und Soziolinguistik, Berlin (1971).
38- Van Dijk, T., A., Text and Context, Explorations in the Semantics and Pragmatics of Discourse, Longman, London and New York (1977).
39- Wehr, Hans, Entwicklung und traditionelle Pflege der arabischen Schriftsprache in der Gegenwart, ZDMG, Bd.97, Heft 1, Leipzig (1983).
40- Zimmermann, Heinz, Zu einer Typologie des spontanen Gespraechs, Syntaktische Studien zur baseldeutschen Umgangssprache, Bern (1965).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا الكتاب

مع التغيرات التي طرأت على نظرية علم اللغة الحديث في العقود الثلاثة الأخيرة، وانكشاف كثير من الظواهر والقضايا الجديدة، صارت بعض الإشارات والتلميحات الفكرية القديمة قضايا ومسائل كبرى تستوقف الباحث المدقق وتستمنحه فرصة جديدة للتحليل والتأصيل والتمييز بين أشكال لغوية. تجاوزت الدراسات التقليدية ما بينها من تباينات وفروق. وقد كان من أهم التفريقات الاصطلاحية التي طورتها نظرية علم اللغة الحديث، لاسيما في حقل اللسانيات الاجتماعية، تفرقتها بين شكلين كبيرين لغة الكلام اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة. ولا تنهض المقابلة بين هذين الشكلين على أساس التصورات والافتراضات، وإنما تنهض على أساس التحقيق والانجاز الفعلي للغة وما لها من طرق ووسائل تبليغية مختلفة. ويهدف هذا البحث إلى الإسهام المبدئي بنظرية اللغة المنطوقة وتنظيمها وإمداد الباحث اللغوي بمفاتيح موضوعية ومنهجية وفكرية جديدة، تعين على تجديد الفكر اللغوي العربي وتدقيق النظر في خصوص العربية وتعميقه.

وإذا كان البحث الذي بين أيدينا هو أول محاولة علمية في حقل الدراسات اللغوية العربية تطمح إلى الاكتمال والعمق والإفادة من المراجع الأصلية المتخصصة في موضوعه، فإن صاحبه قد احتكم إلى دربته بما أنجز من أعمال لغوية في تسويغ التفاوت بين مباحث الكتاب الاثني عشر تفاوتا كبيرا. فلم يتوقف عند ما يراه غنيا عن مثل هذا التوقف، بادلا الجهد في عرض الأفكار والقضايا الجديدة وتفسيرها والتمثيل عليها، اقترابا من الهدف الذي سعى إلى تحقيقه.

ولا يسعنا في النهاية إلا أن نشكر عالمنا الجليل الأستاذ الدكتور محمد العبد على كل هذا الجهد الذي لا يدخر وسعا في بذله، جازاه الله كل الخير. ونتمنى أن يكون هذا البحث إضافة ثرية لمكتبتنا العربية، والله من وراء القصد السبيل.

الناشر

الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي
٥٥ شارع وادي النيل المهندسين القاهرة مصر
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٤٩٠٩٥ / ٠٠٢٠٢٣٤٩٠٩٦
E-mail: m.academyfub@yahoo.com
m.acamemyfub@gmail.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner